

تصدرها هيئة من مدرسي الجامعة الزيتونية

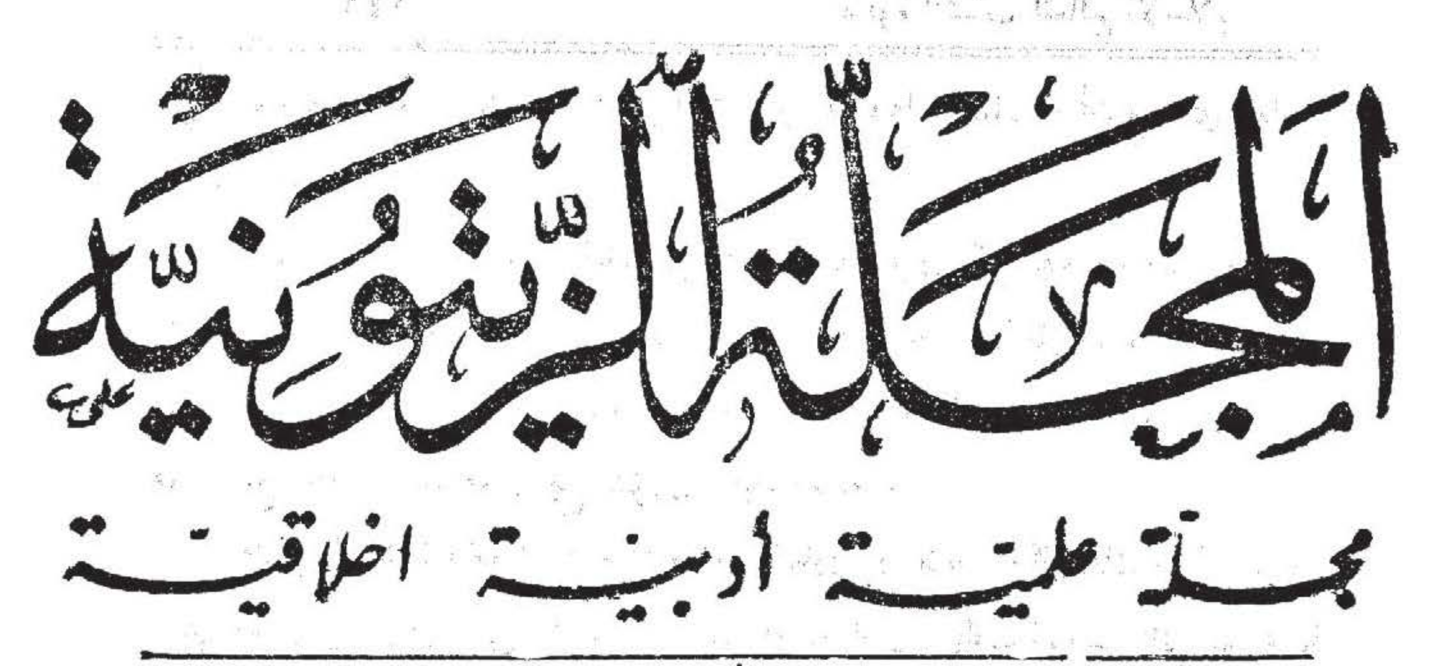
الجزء الرابع — المجلد الثامن

تونس

١٠٠

فهرس العدد

الجزء الرابع من المجلد الثامن



شعبان ١٣٧٢ | ماي ١٩٥٣

بسم الله الرحمن الرحيم

دعوة الشباب لتعاليم الاسلام

ان العالم الاسلامي داهمته حوادث جسام منذ قرن او يزيد ومن اخطر تلك الحوادث واشدها تاثيرا حدث انزلاق الشباب عن حضيرة تعاليم الاسلام وجهله بمباديه وآدابه فتنكر لها وهو جاد في تنكره هذا وهو يحسب انه لميات شيئا محضورا او هو قانع بموقفه مغرور بما هو عليه يظن ان الحياة التي يسعى لها لا يلزمه في سعيه الا التحصيل على كسب وفير وما يعود عليه من نفع كيفما كانت الوسائل التي تتخذ للتحصيل على عيش هني والتقلب في بحور هوى النفس الامارة والرغبة في ملاذ الحياة والاقبال عليها كلفه ذلك ما كلفه .

فهذا الشعب التونسي المسلم يخرج للعالم شبابا يتعثر في خطاه وهو يطلب منه ان يستعد للمستقبل ويتدرع بسلاح المعرفة ليكون على اهبة واستعداد لولوج معترك الحياة غير هياب ولا وجلان . فماذا يرى من هذا الشباب ؟

اول بادرة تظهر منه تنكره لدينه الذي جهل اصوله وفروعه وجهل مباديه وآدابه وجهل محاسنه ومميزاته ، فالدين كرابطة اجتماعية لا يعلم مباديه التي هي قوام تلك الرابطة

التي تربطه باسرتـه وتربطه بالبيئة التي يعيش بين افرادها وتربطـه بالمجتمع الذي سعادته مرتبطة بسعادته .

يري منه الاشمئزاز من الحياة التي عليها قومه يرميهم بكل نقيصة وينسب مـا هم عليه مما لا يستحسنه منهم الي مؤثرات لا يستسيغها هذا العصر ولا يقرهم عليها ويخلط في مواقفه معهم بين ما هو راجع للعقيدة وما هو راجع للاخلاق وما هو راجع للاداب وما هو راجع للعادات وما هو راجع لشؤون الحياة العامة .

فتسوء المعاشرة وتحصل الوحشة ويفقد التعاون او يضعف وكل ذلك منشاه التباين الذي حصل في تكوين نفس الشباب بينه وبين قومه الذي لم يالف الاسس التي بنوا عليها حياتهم فقومه بنـوا حياتهم على اسس غير التي شب عليها شباب الجيل الحاضر فتباينت الاخلاق وتنافرت الطباع وتهدمت الاسر وانحلت عراها وتفككت اجزاء المجتمع لفقدان عرى الجامعة التي تلم الشمل وتربط الحلق وتمتن بينها .

ومن اهم البواعث على ذلك المؤثرات الخارجية التي تتاثر بها نفوس الشباب مما يقع تحت نظره من احـوال معاصريه ومساكنيه من ابنـاء الملل التي تعيش معهم ويضل جميعهم سماء واحدة وتربطهم بـه روابط وان لم تكن لها مثل روابط الاسرة لكن قواتها جعلتها في نظره مثال الكمال والقدوة التي بها يقتدى وهي عوامل العز والمنعة والجاه ووفرة ذات اليد والسلطة والنفوذ التي عند الغير .

فهي من اقوى المؤثرات التي اثرت فيه فتركته لا يحفل بما عليه قومه ولا يرغب في الحياة التي هم عليها وربما ظن ان المبادي التي اقاموا عليها حياتهم المادية والروحية جديرة بالمقاومة أو تاول في المجادلة فرماهم بانهم جهلوا تعاليم الاسلام ولذلك وقعوا في الخطا وسبقتهم قافلة الحياة وعجزوا عن ادراكها فقعدت بهم جهالتهم وهم يحسبون ان في مقدورهم الالتحاق بغيرهم

وهذا التاويل هو اشد خطورة وهو الذي يتشدق به الكثير من شباب هذا العصر ويستشهد عليه بحوادث وانقال لمغالطة ارباب العقول الساذجة واستبقاء للخطة التي رسمها لنفسه والذي عول عليها في نجاح طريقته التي يروم بناء مستقبله على اساسها .



بقلم فضيلة الاستاذ الامام الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور شيخ الجامع الاعظم وفروعه

يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً وَيَهْدِي بِهِ كَثِيراً وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلا الفَاسِقِينَ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الخَاسِرُونَ .

بيان وتفسير للجملتين المصدرتين باما على طريق النشر المعكوس لان معنى هاتين الجملتين قد اشتمل عليهما معنى الجملتين السالفتين اجمالا فان علم المؤمنين ان الحق من ربهم هدى وقول الكافرين ماذا اراد الله الخ ضلال . والاظهر ان لا يكون قوله « يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا » جوابا للاستفهام في قول الذين كفروا ماذا اراد الله بهذا مثلا لان ذلك ليس استفهاما حقيقيا كما تقدم . ويجوز ان يجعل جوابا عن استفهامهم تخريجا للكلام على الاسلوب الحكيم بحمل استفهامهم على ظاهره تنبيها على ان اللائق بهم ان يسالوا عما اراد الله بتلك الامثال فيكون قوله يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا جوابا لهم وردا عليهم وبيانا لحال . المؤمنين وكون كلا الفريقين من المضلل والمهدي كثيرا في نفسه لا ينافي نحو في قوله وقليل من عبادي الشكور لان المبالغة في الشكر اخص من الاهتداء .

والفاسق لفظ من منقولات الشريعة اصله اسم فاعل من الفسق وحقيقة الفسق خروج التمرة من قشرها وهو عاهة او رداءة في التمر فهو خروج مذموم يعد من الادواء . قال النابغة :

صغار النوى مكنوزة ليس قشرها اذا طار قشر التمر عنها بطاير

قالوا ولم يسمع في كلامهم في غير هذا المعنى حتى نقله القرآن للخروج عن امر الله تعالى بارتكاب المعاصي الكبائر فوقع بعد ذلك في كلام المسلمين قال رؤبة يصف ابلا

فواسقا عن قصدها جوائر يهوين في نجد وغور غايرا

والفسق مراتب كثيرة يبلغ الى الكفر . وقد اطلق الفسق في الكتاب والسنة على جميعها لكن الذي يستخلص من الجمع بين الادلة وهو ما اصطلح عليه علماؤنا من المتكلمين والفقهاء وهو ان الفسق غير الكفر وان المعاصي وان كثرت لا تزيل الايمان

ولقد لقب الله اليهود في مواضع كثيرة من القرآن بالفاسقين . واحسب انه المراد هنا وعزاه ابن كثير لجمهور من المفسرين

واسناد الاضلال الى الله تعالى مراعى فيه انه الذى مكن الضالين من الكسب والاختيار بما خلق لهم من العقول وما فصل لهم من اسباب الخير وضده وفي اختيار اسناده الى الله تعالى مع صحة اسناده لفعل الضلال اشارة الى انه ضلال متمكن من نفوسهم حتى صار كالجبلة فيهم فهم ميؤس من اهتدائهم كما قال تعالى ختم الله على قلوبهم فاسناد الاضلال الى الله تعالى منظور فيه الى خلق اسبابه القريبة والبعيدة والا فان الله إمر الناس كلهم بالهدى وهي مسالة مفروغ منها في علم الكلام .

وقوله « وما يضل به الا الفاسقين » اما مسوق لبيان ان للفسق تاثيرا في زيادة الضلال لان الفسق رين على القلوب ويكسب النفوس ظلمة فتتساقط في الضلال المرة بعد الاخرى على التعاقب حتى يصير لها دربة وهذا الذي يؤذن به التعليق على الوصف المشتق ان كان المراد به هنا المعنى الاشتقاقي فكانه قيل هؤلاء فاسقون وما من فاسق الا وهو ضال فما ثبت الضلال الا لثبوت الفسق على نحو طريقة القياس الاقتراني

واما مسوق لبيان ان الضلال والفسق اخوان فحيثما تحقق احدهما انبأ بتحقيق الآخر على نحو قياس المساواة اذا أريد من الفاسقين المعنى اللقبي المشهور فلا يكون له إيذان بتعليل

واما لبيان ان الاضلال المتكيف في انكار الامثال اضلال مع غباوة فلا يصدر الا من اليهود وقد عرفوا بهذا الوصف .

والقول في مذاهب علماء الاسلام في الفسق وتأثيره في الايمان ليس هذا مقام بيانه اذ ليس هو المقصود من الآية .

ثم ان كان محمل الفاسقين على ما يشمل المشركين واليهود الذين طعنوا في ضرب المثل كان القصر في قوله وما يضل به الا الفاسقين اضافيا اي بالاضافة الى المؤمنين ليحصل تمييز المراد من المضلل والمهتدي . وان كان محمل الفاسقين على اليهود كان القصر حقيقيا ادعائيا اي يضل به كثيرا وهم الطاعنون فيه واشدهم ضلالا هم الفاسقون ووجه ذلك ان المشركين ابعد عن الاهتداء بالكتاب لانهم في شركهم واما اليهود فهم اهل كتاب وشانهم ان يعلموا افانين الكتب السماوية وضرب الامثال فانكارهم اياها غاية الضلال . فكانه لاضلال سواه .

وجملة « الذين ينقضون الى آخره » صفة للفاسقين لتقرير اتصافهم بالفسق لان هاته الخلال من اكبر انواع الفسوق بمعنى الخروج عن امر الله تعالى .

ويجوز ان تكون مقطوعة مستانفة على ان الذين مبتدأ وقوله اولئك هم الخاسرون خبر . وهي مع ذلك لاتخرج عن معنى توصيف الفاسقين بتلك الخلال اذ الاستيناف لما ورد اثر حكاية حال عن الفاسقين تعين في حكم البلاغة ان تكون هاته الصلة من صفاتهم واحوالهم للزوم الاتحاد في الجامع الخيالي والا لصار الكلام مقطعا متنوفا فليس بين الاعتبارين الا اختلاف الاعراب واما المعنى فواحد فلذلك كان اعرابه صفة ارجح او متعينا اذ لا داعي الى اعتبار القطع . ومجيء الموصول هنا للتعريف بالمراد من الفاسقين اي الفاسقين الذين عرفوا بهذه الخلال الثلاث فالاظهر ان المراد من الفاسقين اليهود وقد اطلق عليهم هذا الوصف في مواضع من القرآن وهم عرفوا بما دلت عليه صلة الموصول كما سنبينه هنا بل هم قد شهدت عليهم كتب انبيائهم بانهم نقضوا عهد الله غير مرة وهم قد اعترفوا على انفسهم بذلك فناسب ان يجعل النقض صلة لموصولهم لاشتهارهم بها . ووجه تخصيصهم بذلك ان الطعن في هذا المثل جرهم الى زيادة الطعن في الاسلام فازدادوا بذلك ضلالا على ضلالهم السابق في تغيير دينهم وفي كفرهم بعيسى ، واما المشركون فضلالهم لا يقبل الزيادة ، على

ان سورة البقرة نزلت في المدينة واكثر الرد في الآيات المدنية متوجه الى اهل الكتاب

والنقض في اللغة حقيقة في فسخ وحل ما ركب ووصل بفعل يعاكس الفعل الذي كان به التركيب وانما زدت قولي بفعل الخ ليخرج القطع والحرق فيقال نقض الحبل اذا حل ما كان ابرمه ونقض الغزل ونقض البناء .

وقد استعمل النقض هنا مجازا في ابطال العهد بقرينة اضافته الى عهد الله وهي استعارة من مخترعات القرآن بنيت على ما شاع في كلام العرب من تشبيه العهد وكل ما فيه وصل بالحبل وهو تشبيه شائع في كلامهم ومنه قول مالك بن التَّيِّهان الانصاري للنبيء صلى الله عليه وسلم يوم بيعة العقبة يا رسول الله ان بيننا وبين القوم حبالا ونحن قاطعوها فنخشى إنْ اللهُ اعزك واظهرك ان ترجع الى قومك . يريد العهود التي كانت في الجاهلية بين قريش وبين الاوس والخزرج . وكان الشائع في الكلام اطلاق لفظ القطع والصرم وما في معناها على ابطال العهد ايضا قال امرؤ القيس :

وان كنت قد ازمعت صرمي فاجملي

وقال لبيد :

او لم تكن تدري نوار بانني وصال عقد حبايل جذَّامها

وقال :

بل ما تذكَّر من نوار وقد نات وتقطعت اسبابها ورمامها

وقال :

فاقطع لبانة من تعرض وصله فلشر واصل خلة صرَّامها

ووجه اختيار استعارة النقض الذي هو حل طيات الحبل الى ابطال العهد انها تمثيل لابطال العهد رويدا رويدا وفي ازمنة متكررة وبمعالجة ولا شك ان النقض ابلغ في الدلالة على الابطال من القطع والصرم ونحوها لان في النقض افساد هيئة الحبل وزوال رجاء عودتها واما القطع فهو تجزئة . وفي النقض رمز الى استعارة مكنية لان النقض من روادف الحبل فاجتمع هنا استعارتان مكنية

وتصريحية وهذه الاخيرة تمثيلية وقد تقرر في علم البيان ان ما يرمز به للمشبه به المضمر في المكنية قد يكون مستعملا في معنى حقيقي على طريقة التخييل وذلك حيث لا يكون للمشبه المذكور في صورة المكنية رديف يمكن تشبيهه برديف المشبه به المضمر في النفس

وقد يكون مستعملا في معنى مجازي اذا كان المشبه في المكنية رديف يمكن تشبيهه برديف المشبه به المضمر نحو ينقضون عهد الله . وقد زدنا انها تمثيلية ايضا

(وعهد الله) هو ما عهد به اي ما اوصى برعيه وحفاظه ومعاني العهد في كلام العرب كثيرة وتعريفه خفي قال الزجاج « قال بعضهم ما ادري ما العهد » ويرجع معانيه الى المعاودة والمحافظة والمراجعة والافتقاد ولا ادري اي معانيه اصل لبقيتها وغالب ظني انها متفرع بعضها عن بعض والاقرب ان اصلها هو العهد الذي هو مصدر عَهِدَه عهدا اذا تذكره وراجع اليه نفسه يقولون عهدتك كذا اي اتذكر فيك كذا وعهدي بك كذا وفي حديث ام زرع ولا يسال عما عهد اي عما عرف وترك في البيت . ومنه في عهد فلان اي في زمانه لانه يقال للزمان الذى فيه خير وشر لا ينساه الناس . والعهد في الآية فسر بالعهد الذي اخذه الله على بني آدم ان لا يعبدوا غيره « الم اعهد اليكم يا بني آدم ان لا تعبدوا الشيطان » الآية فنقضه يشمل الشرك .

وفسر بالعهد الذي اخذه الله على الامم على السنة رسلهم انهم اذا بعث بعدهم رسول مصدق لمن معهم ليؤمنن به « واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما آتينا كم من كتاب وحكمة ثم جاركم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه » الآيات لان المقصود من ذلك اخذ العهد على اممهم

وفسر بالعهد الذي اخذه الله على اهل الكتاب ليبيننه للناس « واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب ليبيننه للناس » الآية في تفاسير اخرى بعيدة .

والصحيح عندي ان المراد بالعهد هو العهد الذي اخذه الله على بني اسرائيل غير مرة من اقامة الدين وتاييد الرسل وان لا يسفك بعضهم دماء بعض وان يؤمنوا بالدين كله . وقد ذكَّرهم القرءان بعهود الله تعالى ونقضهم اياها في

غير ما آية من ذلك قوله تعالى « ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا الى قوله فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم . الخ ـ وقوله تعالى ـ لقد اخذنا ميثاق بني اسرائيل وارسلنا اليهم رسلا . الى قوله فعموا وصموا . وقوله تعالى واذ اخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم الى قوله ثم انتم هؤلاء تقتلون انفسكم الى قوله وتكفرون ببعض . وقوله تعالى وَأَوْفُوا بعهدي اوف بعهدكم . بل ان كتبهم قد صرحت بعهود الله تعالى بهم وانحت عليهم نقضهم لها وجعلت ذلك انذارا بما جاء لهم من المصايب كما في كتاب ارميا ومراثي ارميا وغير ذلك بل قد صار لفظ العهد عندهم لقبا للشريعة التي جاء بها موسى .

ولما كان قوله الذين ينقضون عهد الله في الآية وصفا للفاسقين وكان المراد من الفاسقين اليهود كما علمت كان ذكر العهد ايماء الى ان الفاسقين من هم وتسجيلا على اليهود بانهم قد حق عليهم هذا الوصف من قبل اليوم بشهادة كتبهم وعلى السنة انبيائهم فكان لاختيار لفظ العهد هنا وقع عظيم ينزل منزلة المفتاح الذي يوضع في حل اللغز ليشير المقصود وهو العهد الذي سياتي ذكره في قوله تعالى واوفوا بعهدي (من بعد ميثاقه) يتعلق بينقضون ومن موكدة للبعدية لانهم نقضوا العهد غير مرة .

والميثاق مفعال وهو يكون للآلة كثيرا كمرقاة ومرآة ومحراث قال الخفاجي انه اشباع للمفعل . ويكون المصدر ايضا نحو الميلاد والميعاد وهو الاظهر هنا والضمير للعهد اي من بعد توكيد العهد وتوثيقه ولما كان المراد بالعهد عهدا غير معين بل كل ما عاهدوا عليه كان توكيد كل ما يفرضه المخاطب بما تقدمه من العهود وما تاخر عنه فهو على حد ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها فالميثاق اذن عهد آخر اعتبر مؤكدا لعهد سبقه او لحقه .



الحذر من الغضب والفواحش (٤)

بقلم المنعم الشيخ محمد ابن القاضي نائب الدولة لدى النظارة العلمية كان

بقي النظر في انه هل يصح ان يتعلق بالاوصاف الغير المقدورة للانسان اذا اتصف بها الثواب والعقاب ام لا . قال ابو اسحاق الشاطبي في الموافقات النظر يتجاذبه الطرفان وربما يستدل على تعلق العقاب والثواب بها بامرين اولهما : ان الاوصاف المذكورة قد تعلق الحب والبغض بها قال الله تعالى (والله يحب المحسنين) وقال (ان الله لا يحب كل مختال فخور) والحب والبغض من الله تعالى اما ان يراد بهما نفس الانعام او الانتقام واما ان يراد بهما ارادة الانعام او الانتقام وعلى كلا الوجهين فالحب والبغض راجعان الى نفس الانعام والانتقام وهما عين الثواب والعقاب والثاني انا لو فرضنا الحب والبغض لا يرجعان الى الثواب والعقاب فتعلقهما بالصفات اما ان يستلزم الثواب والعقاب او لا فان استلزم فهو المطلوب وان لم يستلزم فتعلق الحب والبغض اما للذات وهو محال واما لا مر راجع الى الله تعالى وهو محال لان الله غني عن العالمين وتعالى ان يفتقر لغيره او يتكمل بشيء بل هو الغني على الاطلاق وذو الكمال بكل اعتبار واما للعبد وهو الجزاء اذ لا يرجع للعبد الا ذلك . وامر ثالث وهو انه لو سلم انها محبوبة او مكروهة من جهة متعلقاتها وهي الافعال فلا يخلو اما ان يكون الجزاء على تلك الافعال مع الصفات مثل الجزاء عليها بدون تلك الصفات او لا فان كان الجزاء متفاوتا فقد صار للصفات قسط من الجزاء وهو المطلوب وان كان متساويا لزم ان يكون فعل اشج . اشج عبد القيس

حين صاحبه الحلم والاناة مساويا لفعل من لم يتصف بهما وان استويا في الفعل وذلك غير صحيح لما يلزم عليه من ان يكون المحبوب عند الله مساويا لما ليس بمحبوب واستقراء الشريعة يدل على خلاف ذلك . وايضا يلزم ان يكون ما هو محبوب ليس بمحبوب وبالعكس وهو محال فثبت ان للوصف حظا من

الثواب او العقاب واذا ثبت ان له حظا من الجزاء ثبت مطلق الجزاء فالاوصاف المطبوع عليها وما اشبهها مجازي عليها وللقائل بانها ليس مما يتعلق بها الثواب والعقاب انظار لايسع بسطها في هذا المقام •

ومما يجب التنبيه اليه ان الاوصاف التي لا قدرة للانسان على دفعها ولاجلبها على ضربين احدهما ماكان فطريا ولم يكن نتيجة عمل كالشجاعة والجبن والحكم فيه ما قررناه والثاني ماكان نتيجة عمل كالعلم والحب في نحو قوله احبوا الله لما اسدى اليكم من نعمه وهذا يتعلق به الثواب والعقاب في الجملة من حيث كانت تلك الاوصاف مسببات عن اسباب مكتسبة فيجب على العاقل ان لايهمل امر الاسباب حيث كانت مطية الثواب والعقاب •

قال الحافظ بن القيم في مدارج السالكين ان اصعب ما على الطبيعة الانسانية تغيير الاخلاق التي طبعت عليها واصحاب الرياضات الصعبة والمجاهدات الشاقة انما عملوا عليها ولم يظفر اكثرهم بتبديلها واليك ما يصل به السالك مع تلك الاخلاق ولايحتاج الى علاجها وازالتها ويكون سيره اقوى واجل من سير العامل على ازالتها ونقدم قبل هذا مثلا نضربه مطابقا لما نريده وهو نهر جار في صببه ومنحدره ومنته الى تغريق ارض وعمران ودور واصحابها يعلمون انه لا ينتهي حتى يخرب دورهم ويتلف اموالهم واراضيهم فانقسموا ثلاث فرق فرقة صرفت قواها وقوى اعمالها الى سكره وحبسه وايقافه فلم تصنع هذه الفرقة كبير امر فانه يوشك أن يجتمع فيكون على السكر ثم يحمل افساده وتخريبه اعظم وفرقة رات هاته الحالة وعلمت انه لا يغني عنها شيئا فقالت لاخلاص من محذوره الا بقطعه من اصل الينبوع فرامت قطعه من اصله فتعذر عليها ذلك غاية التعذر وابت طبيعته النهرية ذلك اشد الاباء فهم دائما في قطع الينبوع وكلما سدوه من موضع نبع من موضع فاشتغل هؤلاء بشان هذا النهر عن الزراعات والعمارات وغرس الاشجار فجاءت فرقة ثالثة خالفت راي الفريقين وعلموا انه قد ضاعت عليهم كثير من مصالحهم فاخذوا في صرف ذلك النهر عن مجراها المنتهي الى خراب العمران وصرفوه الى موضع ينتفعون بوصوله اليه ولا يتضررون به فصرفوه الى ارض قابلة للنبات وسقوها به فانبتت انواع العشب والكلا والثمار المختلفة الاصناف فكانت هذه الفرقة اصوب الفرق في شان هذا النهر فاذا تبين هذا فالنهر مثال القوتين الغضبية والشهوانية وهو منصب في جدول الطبيعة

ومجراه الى دور القلب وعمرانه وحاصله بذهبها ويتلفها ولا بد في النفوس الجاهلة الظالمة تركيته ومجراه فخرب ديار الايمان وقلع آثاره و هدم عمرانه واما النفوس الزكية الفاضلة فانها رات ما يؤول اليه امر هذا النهر فافترقوا ثلاث فرق فاصحاب الرياضيات والمجاهدات راموا قطعة من ينبوعه فابت ذلك حكمة الله تعالى وما طبع عليه الجبلة البشرية ولم تنقد له الطبيعة فاشتد القتال ودام الحرب وحمي الوطيس وصارت الحرب دولا وسجالا و هؤلاء صرفوا قواهم الى مجاهدة النفس على ازالة تلك الصفات وفرقة اعرضوا عنها وشغلوا انفسهم بالاعمال ولم يجيبوا دواعي تلك الصفات مع تخليتهم اياها على مجراها لكن لم يمكنوا نهرها من افساد عمرانهم بل اشتغلوا بتحصين العمران واحكام بنائه واساسه وراوا ان ذلك النهر لابد ان يصل اليهم فاذا وصل الى بناء محكم لم يهدمه بل يأخذ عنه يمينا وشمالا فهؤلاء صرفوا قوة ارادتهم في العمارة واحكام البناء واولئك صرفوها في قطع المادة الفاسدة من اصلها خوفا من هدم البناء وفرقة ثالثة رات ان هذه الصفات ما خلقت عبثا ولا سدى وانها بمنزلة الماء يسقى بها الورد والشوك والثمار والحطب فرات ان الكبر مثلا نهر يسقى به العلو والفجر والظلم والعدوان ويسقى به علو الهمة والانفة والحمية والمراغمة لاعداء الله وقهرهم والعلو عليهم فصرفوا مجراه الى هذا الغراس وابقوه على حاله في نفوسهم لكن استعملوه حيث يكون استعماله انفع وقد راى النبيء صلى الله عليه وسلم ابادجانة يتبختر بين الصفين فقال انها لمشية يبغضها الله الا في مثل هذا الموضع فانظر كيف خلى مجرى هذه الصفة وهذا الخلق يجري في احسن مواضعه وفي الحديث الآخر ان من الخيلاء ما يحبها الله ومنها ما يبغضها الله ، فالخيلاء التي يحبها الله اختيال الرجل في الحرب

فانظر كيف كانت الصفة المذمومة عبودية وكيف استحال القاطع موصلا ويؤيد ذلك ايضا قول الله تعالى (ساصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق) قال الفخر الرازي اعلم انه تعالى ذكر في هذه الآية قوله (بغير الحق) لان اظهار الكبر على الغير قد يكون بالحق فان للمحق ان يتكبر على المبطل وفي الكلام المشهور الكبر على المتكبر صدقة ومن يعالج نفسه بغير ما جاء به الرسول فهو كمن يعالج برايه بدون معرفة الطبيب واين رايه من معرفة الطبيب فالرسل اطباء القلوب ولا سبيل الى تزكيتها وصلاحها الا من طرقهم وعلى ايديهم .

التشريع الاسلامي

حاجة البشر الى الشرايع (٣)

هل الفقه الاسلامي متاثر بالقانون الروماني

بقلم العلامة الشيخ محمد الهادي ابن القاضي المفتي الحنفي بالديار التونسية

واما التشابه في عقدي البيع والاجارة فانه تشابه غير تام فانهما وان تشابها في بعض احكامهما العامة بسبب ارتكاز هذه على مبادي التبادل الاقتصادي والمعاملات التجارية التي استوجبت وجودها الا ان هناك اختلافا في الاحكام التفصلية كخيار الرؤية وغيره .

فثبت ان تلك الامثلة غير دالة على ان المسلمين تاثروا بفقه الرومان

وعلى فرض صحتها فهي قليلة لا تستحق الذكر لاسيما اذا نظرنا الى الفروق العديدة بين القانون الروماني والفقه الاسلامي

فليست العبرة بوجود بعض مواضع الموافقات لكن العبرة باهمية هذه المواضع بالقياس الى مواضع الفروق وان الفروق الاساسية كثيرة يطول بنا شرحها واليك بعضها على سبيل المثال

اولا ــ ان النساء الرومانيات كن تحت الوصاية الدائمة ولا يمكن من التصرف الا باجازة الولي

اما الشرع الاسلامي فقد اعطى المرأة الحرية التامة في التصرف بمالها الا في حالات استثنائية

ثانيا ــ ان المهر عند الرومان يدفع للزوج من طرف الزوجة او احد ذويها بينما هو عند المسلمين يدفع للزوجة من طرف الزوج

ثالثا ــ التبني لا يقره الشرع الاسلامي مع انه كان معروفا في القانون الروماني

رابعا ـ ان حوالة الدين لم تكن جائزة في القانون الروماني مع انها جائزة بلا خلاف في جميع المذاهب الاسلامية .

خامسا ـ ان قواعد الارث والوصية مختلفة في الفقهين اختلافا بينا ففي الشريعة الاسلامية لا وصية لوارث . اما عند الرومان فان الوصية اخترعت اساسا لاجل تعيين الوارث

٢ ـ قيمة دلالة الشبه بحد ذاته

ما هي قيمة الشبه بحد ذاته اذا وجد بين شريعتين ، هل يكفي وحده للحكم بان احدى الشريعتين اقتبست احكامها من الاخرى

لاريب ان مجرد الشبه وحده لايكفي بوجه تام لاثبات الاقتباس لان الشبه اما في القواعد الكلية او في الاحكام الجزئية اما الكليات كتحريم القتل بدون حق وتحريم السرقة والزنا وتحريم اكل اموال الناس بالباطل وما اشبهه فان هذه ترتكز على مبادي العدل الاولية وهي لذلك ابدية واحدة فلا غرو ان من تكون متشابهة قديما وحديثا وفي مختلف الاحوال والعصور والشعوب

قال الامام ابو اسحاق الشاطبي في الموافقات ان هذه الاحكام كلية ابدية وضعت عليها الدنيا وبها قامت مصالحها في الخلق حسبما بين ذلك الاستقراء والتتبع وعلى وفاق ذلك جاءت الشريعة ايضا فذلك الحكم الكلي باق الى ان يرث الله الارض ومن عليها . اه

فهذا الضرب من الاحكام العامة يرتكز على مبادي اوليه ابدية هي مبادي العدل الصافي والخير الحقيقي وقد اسماها القدماء القانون الالهي او القانون الطبيعي او القانون الابدي وهي قوانين القوانين

ولا شك ان هذه الصفة اللازمة لها تستتبع صفة اخرى وهي ان هذه الاحكام واحدة متشابهة في جميع الشرائع سواء اكانت فيما بينها مبادلات وروابط اولم تكن لذلك فان وجود مثل هذا الشبه لا يصلح ان يكون دليلا في حد ذاته على ان بعضها اقتبس من بعض

واما الاحكام الجزئية فانا نجدها في الغالب مختلفة فيما بينهما فان وجد هذا الشبه احيانا فانه لا يدل على الاقتباس ايضا لان الاحكام مبنية على علل واسباب

فاذا وجدت العلل والاسباب متشابهة كان من المعقول ان تكون الاحكام المبنية عليها متشابهة ايضا وفاقا للمبدإ القايل ان نظاير الاسباب تولد نظائر النتايج

٣ ـ موقف الفقهاء المسلمين من القانون الروماني

ومما لا ريب فيه ان الفقهاء المسلمين لم يطلعوا على كتب الرومان في الفقه ولم يترجموا شيئا منها ولم يذكروا شيئا عنها ولو فعلوا ذلك لذكروه واعترفوا به ولكان اثره باديا في كتبهم كما اعترفوا بترجمة كتب اليونان والفرس في العلوم المختلفة ولقد كان الباعث على احجام الفقهاء عن دراسة القانون الروماني راجعا الى عقيدتهم ان الشريعة الاسلامية الالٓهية مبنية على القرآن الكريم والسنة النبوية وانها مثال الكمال في التشريع لذا كانوا ينبذون كل مصدر عن غير المسلمين في التشريع ويحرمون الاخذ به .

٤ ـ تاثير عادات الرومان في البلاد المفتوحة على الفقه

ان تاثير هذه العادات على الفقه الاسلامي موضع نظر فالثابت الذي لامراء فيه ان هذا الشرع مصدره الاساسي هو القرآن والسنة حتى انهم ارجعوا بقية الاصول الاخرى من اجماع وقياس وغيرهما الى هذين الاصلين وان النص من الكتاب او السنة انما وصل الى المسلمين عن النبي صلى الله عليه وسلم بطريق الوحي الالٓهي في طور التشريع الاسلامي الاول حين لم تتعد الحياة الاسلامية جزيرة العرب وحينئذ فلا اتصال ولا علاقة بالعادات الرومانية في هذا الدور الاول

وعند ما اتسعت الفتوحات واستولى المسلمون على بعض البلاد التي كانت خاضعة للحكم الروماني كمصر والشام اخذ فقهاء المسلمين وقضاتهم يعرضون عادات تلك البلاد على اصول الشرع الاسلامي فما كان منها ملائما لنصوصه ولمقاصده وحكمته قبلوه بالاجتهاد وما كان مخالفا للشريعة ولا يندرج في دليل من ادلتها نبذوه وحكموا بمنعه هذا هو المعروف عنهم والذي اطبقت كتب التاريخ على حكايته عنهم .

الحق يعلو

شهادة علماء اوروبا فى الاسلام

بقلم المنعم امير الامراء علي عبد الوهاب

وبكتابه الموسوم « رحلتي الى الشرق » قال السياسي والشاعر الفرنساوي الشهير دو لامارتين :

« انه لم يبق للناس ايمان لانهم يحيلون كل شيء على افهامهم الشخصية
« فليس هنالك يقين عام في اي شيء كان لا في الاديان ولا في المبادي
« السياسية ولا في اصول الاجتماع .
« عقائد وايمان انما ذلك للامم لمثل الزنبرك فاذا انقطع هو انحل كل شي
« ولذا لم توجد الا وسيلة واحدة لانقاذ الشعوب ألا وهي ان تعاد اليهم العقيدة .» اه

الخلاصة

وعليه فانا نستبين من خلاصة ما قدمناه ان الموافقات بين الفقه الاسلامي والقانون الروماني ضعيفه جدا بالقياس الى الفروق ونستبين ان هذه الموافقات لا تدل بحد ذاتها على تاثير الاول بالثاني

ثم نستبين أن موقف الفقهاء المسلمين كان موقفا سلبيا ازاء القانون الروماني وذلك نظرا الى روح الشريعة الاسلامية ومصدرها الالهي

وان العادات التي اقتبسها الفقهاء في البلاد التي كانت خاضعة للحكم الروماني دخلت الى التشريع الاسلامي ان لم يكن ما يناقضها في نصوص الشرع او في مباديه الاسلامية

وعليه فاننا نستنتج من جميع ذلك حكما قطعيا لا يدخلنا الشك فيه بحال وهو ان الفقه الاسلامي مستقل بنفسه قائم على اساسه لم يكن في وقت من الاوقات متاثرا ولا مقتبسا من غيره شيئا

« وفي مقدمة ترجمة كتاب الشيخ رحمة الله نعمه الله « اظهار الحق » للغة الفرنساوية قال مسيو كارليتي :

« ومنهم من يعيب على الاسلام ايضا انه يعارض الحريات المدنية وبالجملة
« يضادد النظامات التي يسمى مجموعها بالتمدن العصري والحال ان هذه الوصمة ليست
« بثابتة لان الصبيان حتى الذين ما زالوا بالمكاتب الابتدائية يعلمون ان
« العرب مكثوا مدة ثمانية قرون الزعماء الوحيدين للمدنية بالعالم وزاولوا
« كل العلوم البشرية وان جل الاختراعات والاكتشافات التي صارت فيما
« بعد اساسا للرقي الاروباوي هي متفرعة عن مبتكرات وتاليف المسلمين

« فلماذا والحالة هذه لم يكن القرءان اذذاك عقبة في سبيل المدنية فهل
« تغير من ذلك الوقت كلا ولكن لما كان الايمان والتصديق بالقرءان شديدا
« مكينا كان متبعوه يتعاطون دراسة العلوم بغير زمام حتى اتوا في مدة وجيزة
« بالتقدم الغريب المدهش الذي ما زال الى الآن محل اعجاب اروبا ثم عند ما
« ظهر فتور المسلمين في العقيدة ابتدأ انحطاطهم

« ولم يتعرض المسلمون لاي نظام او اصلاح من شانه مساعدة التقدم
« واذا شاهدنا مع ذلك تأخر بعض الممالك الاسلامية وحالتها المنحطة بالنسبة
« للبلاد الاروباوية فالسبب هو ان بعض الامراء رغما عن تظاهرهم بالدين
« المحمدي لا يتبعون اوامر القرءان العزيز ولهم عن نواهيه اذان صماء فهل تنوسي؟
« ان المستشفيات وماوي المرضى والعجز والفقراء والمجانين وان كانت في
« الاصل من تاسيس الهنود فان اروبا لم تتلقاها الا من المسلمين وكذا التعليم
« مجانا الذي لم تدخله اوروبا في نظاماتها الا بغاية التواني فانه موجود الى يومنا
« هذا بالمساجد الاسلامية وكل انسان له الحق في حضور الدروس بها بدون
« واسطة ولا شفيع وقد قيل لي ان المأسوف عليه المسيو لآن الانقليزي زاول
« العلوم بالجامع الازهر في مصر مدة طويلة ولم يدفع دانقا واحدا والمدرسون
« هنالك ليس لهم مثل زملائهم باوروبا عشرات الالاف من الفرنكات سنويا ولا
« يتجاوز مرتبهم الشهري المائة فرنك وهم في مقابلة هذه الاجرة الزهيدة

« يدرسون صباحا مساء واعرف منهم من له اربعة دروس يوميا كما اني اعرف
« آخرين يقعدون بالمساجد للتعليم من دون ادنى اجر ويسمونهم المتطوعين

« وقد قضيت ما ينوف عن ربع قرن بالبلاد الشامية وبحاضرة تونس
« وكنت مدة اقامتي بها كثير المخالطة للمسلمين من كل الطبقات فها اجزم اني
« لم اسمع قط من يعيب او ينتقد على المدنية الاوروباوية الا ما قبح منها بل
« سمعتهم يتذمرون من انحطاط حالتهم بالنسبة للافرنج ولا ينسبون ذلك لانفسهم
« ولا لمبادي دينهم ولكن لامرائهم والذي اعتقد ان احدى الدواعي التي منعت
« بعض اولائك الامراء من الاهتمام برقي رعاياهم وتحسين حالتهم المادية
« والمعنوية هي تداخل الدول الاوروباوية في البلاد الاسلامية وبث الدسايس
« المتنوعة والمكايد المستمرة . » اه

« ومن كتاب « تذكار العالم الاسلامي » للفرنساوي شارل ميزمير : وها
« انا أبدي فكري بكل صراحة واقول ان في هذه الازمة ذات الفوضى المرعبة
« المخيفة والتي تسعى مذاهبها الشتى والضالة المضلة في الانتشار والانتصار او وجد
« الدين الاسلامي مبشرين قادرين على منافسة ومجاراة فصحاء النصارى لاهتدى
« واسلم الناس حتى بعواصم اوروبا . » اه

الوعظ والارشاد

قامة رسالة الاسلام على الدعوة الى الخير والصلاح والتحذير من الشر والفساد فاما الذين ءامنوا واتبعوا واجتنبوا السيئات فطوبى لهم وحسن مآب واما الذين خالفوا وعصوا وافسدوا في الارض فستصيبهم قارعة ويحل عليهم غضب وبئس عاقبة المفسدين الا من تاب فان الله غفور رحيم

وقد رتبت الشريعة الاسلامية السمحة على الطاعات انواعا من الثواب سينالها المرء يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم ورتبت على ارتكاب المعاصي اصنافا من الرزايا سيلقاها العبد امامه يوم الحساب العظيم

وقد نطقت ءايات القرآن واحاديث الرسول بذلك ترغيبا في الطاعات وتحذيرا من المعاصي وجماع الطاعات تقوى الله فهي راس كل فضيلة ومفتاح الخير وملاك الصلاح بها ينجو العبد من غضب الله وعذابه الاليم وينال السعادة العظمى والثواب الجزيل واكرم بها من خلة استحق صاحبها مدح الله له في محكم التنزيل وانعم بها من صفة وصف الله بها الخلص من عباده ذوي النفوس الزاكية والمراتب العلية حتى بشرهم بالجنة وقال فيها ولنعم دار المتقين

وتقوى الله لها ظاهر وباطن اما باطنها فهو في السريرة واما ظاهرها فبالاعمال الصالحات التي يتقرب به الى بارىء الكائنات التي لا تخفى عليه خافية ويعلم ما تكن النفوس وما تخفي الصدور فمن طابق ظاهره سريرته كان من الناجين ومن خلط عملا صالحا وآخر سيئا فهو من الراجين ومن بدل نعمة بسيئة فاولئك العصاة المذنبون الذين يرتجي لهم اصلاح بعد ما افسدوا واقلاع عما كسبت ايديهم واسروا ورحمة من الله تخرجهم مما وقعوا فيه

فان المعاصي التي يتركبها العبد لها مكفرات يمحو الله بها ما علق بالعبد من خطايا كتبت له في سجل السيئات والكفارات انواع كما ان المعاصي انواع فمن

المعاصي ما يكفرها فعل الحسنات والتقرب الى الله تعالى بالطاعات واجتناب السيئات وهي المعاصي التي لا يترتب عليها فساد عظيم تكفرها الصلاة ويكفرها الوضوء وتكفرها الصدقات الى غير ذلك من انواع القربات

ومن المعاصي ما لا يكفرها الا التوبة والانابة والاقلاع عنها خشية من الرحمن الرحيم والندم على ما فرط العبد في جانب مولاها ورد المظالم الى اهلها فيما هو من حقوق الخلق واسترضاءهم عما فرط فيه من حقوقهم وهي المعاصي التي يترتب عليها فساد عظيم وعظم خطرها الشارع وتوعد عليها بالعذاب الاليم او قرنها بغضب او لعنة او حذر منها كي يسلم العبد من نقمه وذلك ما وصفها به حبر الامة ابن عباس رضي الله عنهما وقيل له اهي سبع قال هي الا السبعين اقرب واعظمها واخطرها الشرك بالله تعالى وان يجعل له سبحانه ندا فهو اعظم المفاسد واشدها . ففي الصحيحين عن عبد الله قال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم اي الذنب اعظم عند الله قال ان تجعل لله ندا وهو خلقك . قال قلت له ثم اي قال ثم ان تقتل ولدك مخافة ان يطعم معك قال قلت ثم اي قال ثم ان تزاني حليلة جارك فهذه ثلاث من المعاصي المهلكات

الاولى ان يجعل لله ندا اي شريكا .

الثانية قتل النفس وخاصة اذا كان ولده من املاق خشية ان ينفق عليه كما كانوا في الجاهلية فان من عاداتهم وأد بناتهم خشية العار او خشية املاق

الثالثة الزنا وخاصة ان يزني بجارته فان الاحق ان يغار عليها لا ان يفارشها

واذا كان من العرب في الجاهلية من يفعل ذلك فان منهم من يتنزه قال عنترة

واغض طرفي ما بدت لي جارتي حتى يواري جارتي ماواها

وشدد الاسلام في ذلك فعدهن من اعظم الذنوب لما يترتب عليها من الفساد وقد انزل الله تعالى في ذلك آية (والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا)

ومن اكبر الكبائر المهلكات واخطر المعاصي بعد الاشراك عقوق الوالدين

وشهادة الزور كما نطق بذلك الحديث الصحيح : الا انبئكم باكبر الكبائر قالها صلى الله عليه وسلم ثلاثا الاشراك بالله وعقوق الوالدين وشهادة الزور وفي رواية وقول الزور وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم متكئا فجلس فما زال يكررها حتى قالت الصحابة ليته سكت اي شفقة عليه صلى الله عليه وسلم وفي رواية اخرى وقتل النفس وقول الزور

ومن المعاصي الكبائر السبع الموبقات التي نطق بها الحديث الصحيح قال صلى الله عليه وسلم اجتنبوا السبع الموبقات قيل يارسول الله وما هن . قال الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله الا بالحق واكل الربا واكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات .

وقد عد صلى الله عليه وسلم من المعاصي الكبائر غير ذلك فمنها ما جاء في الحديث الصحيح أنه قال من الكبائر شتم الرجل والديه قالوا يا رسول الله وهل يشتم الرجل والديه قال نعم يسب اب الرجل فيسب اباه . ويسب امه فيسب امه .

وقد عد الكبر من الكبائر الموجبة للنار المانعة من الاحراز على السبق الى الجنة ففي الصحيح عن النبيء صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر قال رجل ان الرجل يحب ان يكون ثوبه حسنا ونعله حسنة قال ان الله عز وجل جميل يحب الجمال . الكبر بطر الحق وغمط الناس

بطر الحق ابطاله وعدم قبوله والحيدة عنه حتى لا يراه حقا وغمط الناس احتقارهم وجاءه العظمة والاحتقار فهذه جملة من المعاصي الكبائر خطرها عظيم وفسادها جسيم فليحذر منها العبد خشية غضب الله وليتب من اصابته منها مصيبة وفي التوبة والانابة رجوع عن العصيان ورجاء من الملك الديان عساه سبحانه ان ينعم بالمغفرة والرضوان ويرحم عبده بالجنة وهو ارحم الراحمين

محمد الشاذلي بن القاضي

لغويات

تصحيح اخطاء وتحاريف

في طبعة جمهرة الانساب لابن حزم(٣)

بقلم العلامة المحقق الاستاذ الاكبر الشيخ
محمد الطاهر ابن عاشور شيخ الجامع وفروعه

وكلا الاسمين غير معروف ، ورايت في ذكر ايام العرب انه منقذ بذال معجمة ومنقذ علم من الاعلام العربية كما في القاموس

ص ٢٧٤ - س ١ « فلا ضيفن » صوابه « فلاخيفن » بخاء عوض الضاد كما في النسخة التونسية

ص ٢٧٦ - س ١ - ٣ - ٦ - ٨ كتب « بن جُـلَـيّ » في اربعة مواضع والتحقيق انه « بن جلى » بضم الجيم واللام المشددة المفتوحة كذا ضبطه ابن ماكولا

ص ٢٧٧ - س ٤ - ٦ - ٧ ضبط « هِـزان » بكسرة على الهاء وكذلك ضبط في ديوان الاعشى نشر جيير وذكره في تاج العروس فلم يتعرض لضبطه وهذا يقتضي انه بفتح الهاء كما هو اصطلاحه

ص ٢٧٧ - س ٤ « بن صباح » هو بوزن غراب

ص ٢٧٨ - س ٢ كتب « اسد وحاتم طي » وهو تحريف صوابه « اسروا حاتم طي »

ص ٢٨٠ - س ١٧ ضبط « الحطم والحطمية » بضم الحاء وفتح الطاء فيهما والصواب انه حطمة بدون حرف تعريف وبها تانيث في ءاخره وانه بفتح الحاء وسكون الطاء وكذلك ضبط الحطيمة كما في القاموس

ص ٢٨٢ - س ٢ - ٤ ضبط « المزق » بكسر الزاي والصواب انه بفتحها.

ص ٢٨٣ - س ٥ كتب « عقيلة » بعين مهملة مفتوحة وبقاف والصواب انه « غفيلة » بغين معجمة مضمومة وبفاء مفتوحة كما في القاموس

ص ٢٨٨ - س ٢ كتب « عمرو » وضبط « شيبم » بكسر الشين والصواب « عمير »

وضبط الشيخ مصحح لسان العرب شييم بضم الشين وكذلك ضبط في نسخ صحيحة من القاموس وهو المناسب للصيغة

ص ٢٩٧ . س ١٤ . ١٧ . ١٨ . ١٩ كتب « خـوط » اربع مرات بخاء معجمة والصواب انه حوط بحاء مهملة

ص ٢٩٩ . س ٢٢ ضبط «دغفل» بكسر الدال وكسر الفاء والصواب انه بفتح فيهما

ص ٣٠١ . س ٤ كتب « الحطيم » والصواب انـه « الحطم » بضم الحاء المهملة وفتح الطاء المهملة كما في تاج العروس

ص ٣١٠ . س ٥ كتب « الاقيون » بقـاف وبتشديد التحتية والذي في النسخة التونسية مصححة بفاء ومضبوطة بضم الهمزة وسكون الفاء وضمة على التحتية . وفي نسخ تاريخ ابن خلدون المخطوطة والمطبوعة « لاسور » ولم اقف على مستند احد هذه الوجوه الثلاثة .

ص ٣١٠ . س ٦ كتب « بنى » والصواب « نبي »

ص ٣١١ . س ٥ « وعبد الله ووفدان » والصواب « وعبد الله والهنو ووفدان

ص ٣٢٦ . س ١٩ « تيم الله » والصواب « تيم اللات »

ص ٣٣٣ . س ١١ « بن منقد » والصواب « بن منقذ » بذال معجمة .

ص ٣٣٥ . س ١٠ « بنو قوقل بن عوف بن الخزرج » والصواب « بنو قوفل ابن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزاج » كما في النسخة التونسية

ص ٣٣٥ . س ١١ « بنو غنم بن الخزرج » والصواب بنو غنم بن عوف ابن الخزرج كما في النسخة التونسية

ص ٣٤٢ . س ٧ « كان سكن » الصواب « كان مسكن »

ص ٣٥٤ . س ١٠ . ١١ ضبط « الهنو » بفتح الهاء في ثلاثة مواضع والصواب انه بكسر الهاء كما في القاموس

ص ٣٥٨ . س ١١ ضبط « سلم » بفتح اللام والصواب انه بسكون اللام

ص ٣٦٠ . س ٣ ضبط « الشري » بسكون الراء والصواب بفتحها مقصورا

ص ٣٦٢ س ١٨ . ٢٠ . ٢١ ضبط « الجلندي » بفتح الجيم واللام

وبالقصر في المواضع الثلاثة والصواب انه بضم الجيم وضم اللام مع القصر كما في القاموس فاذا فتحت اللام صار ممدودا وهو مما وهم فيه الجوهري

ص ٣٦٨ س ٣ « بنو معاوية » صوابه « بنو مغوية » بغين معجمة بوزن معصية كما في القاموس

ص ٣٧٤ . س ١٠ كتب « هصار » بهاء فصاد مهملة والصواب « حضار » بحاء وضاد معجمة كما في تاج العروس واما ضبطه فهو بفتح الحاء وتشديد الضاد كما في خلاصة تذهيب التهذيب للذهبي

ص ٣٧٥ . ١٨ كتب « حيش » وفي النسخة التونسية « حبيش » فليحقق

ص ٣٧٥ . س ١٨ كتب « حَلوا » والصواب « رحَلوا »

ص ٣٧٧ . س ٤ ضبط « نبهان» بضمة على النون وهو سهو والصواب فتح النون

ص ٣٧٧ . س ٦ كتب « ملك » والصواب « مَمْلَكته »

ص ٣٧٧ . س ١٠ . ١٧ . ١٨ ضبط « عتود » بفتح العين والصواب انه بضمها كما في تاج العروس

٣٧٨ . س ٢٢ « لامه والمحدث » هنا نقص والصواب « لامه ، وفقئت عين عدي بن حاتم رضي الله عنه يوم الجمل فقاها عبد الله بن حكيم بن حزاء والمحدث» كذا في النسخة التونسية

ص ٣٧٩ . س ١٦ . ١٧ كتب « وبوث » وكذالك هو في النسخة التونسية ولا يعرف بوث في الاسماء فيما ذكره كتب اللغة . ووقع في الاصابة « ثوب » بتقديم المثلثة ولعله هو الصواب لان العرب سموا بثوب . ووقع في نسخة الاغاني « ثور » فليحقق

ص ٣٧٩ . س ١٧ كتب « بن رضى » والصواب « بن عبد راضى » كما هو في النسخة التونسية وهو المعروف

ص ٣٨٢ . س ١ ضبط « يحصب » بكسر الصاد والصواب بضم الصاد

ص ٣٨٣ . ص ١ « الصنابح » صوابه « والصنابح » بواو عطف

ص ٣٨٧ . ص ١٩ « وحرب بن علة بن جلد » هنا نقص صوابه هكذا

« وحرب بن علة فولد حرب بن علة منبه ، ويزيد فولد منبه بن حرب بن علة رهاء بطن ، وهولاء بنو رهاء بن منبه بن حرب بن علة بن جلد الـخ » كما في النسخة التونسية

ص ٣٨٧ . س ١٩ - ٢٠ وص ٣٨٨ - س٢ - ٣ضبط «الرهاوي » بضم الرآء في اربعة مواضع والصواب انه بفتح الراء كما في القاموس

ص ٣٨٨ - س ٦ - ١٧ كتب « وسيحان » والصواب « سنحان » بنون بعد السين المكسورة وهو اسم كما في القاموس ولم يذكروا سيحان في الاسماء

ص ٣٩٦ . س ٤ كتب «مجربـة» والصواب « محرمة » بفتح الميمين وفتح الراء بوزن مرحلة

ص ٤٠٢ . س ٦ « من ولد حجر » صوابه « ومن ولده حجر » كما في النسخة التونسية

ص ٤٠٢ . س ٤ - ١٤ - ١٦ كـتب « القـود » في ثلاثـة مواضـع والصواب « الفرد » براء عوض الواو كذا في تاج العروس ولم اقف على ضبطه

ص ٢ - ٤ س ١٤ « ومشرح » هو بوزن منبر كما في تاج العروس

ص ٤٠٢ . س ١٥ قوله « كلهم بالاسكان » يعني باسكان اواخرها على لغة حمير فهي مبنية على السكون

ص ٤٠٦ . س ١٣ - ١٧ كتب « خـيران » في موضعين بخاء معجمة ومثناة تحتيه والصواب « حبران » بحاء مهملة وباء موحدة وهو بضم الحاء كما في القاموس

ص ٤٠٧ . س ١٤ كتب « اسميقع » بقاف والصواب انه بفاء عـوض القاف ، وفي القاموس « سميفع » بدون الف في اوله وضبطه كسميدع والمشهور انه بالف في اوله وسكون السين وفتح الميم وسكون الياء وفتح الفاء

ص ٤٠٨ . س ٤ كتب « الفقيه النبيه الاوزاعي وهو ابن عمرو » وهو تحريف والصواب « الفقيه الاوزاعي وهو ابو عمرو »

ص ٤٠٨ . س ٢ وضبط « السحول بضم السين والصواب « السحول » بفتح السين كما في القاموس

ص ٤٠٩ . س ٥ « تيم » الصواب « تيم »

ص ٤١١ . س ٣ كتب « تيان » ولم يضبط والصواب « تبان » بموحده بعد المثناء الفوقية ويضبط بضمها ويجوز تخفيف الموحدة وتشديدها

ص ٤١٢ . س ٦ كتب « ويزيد » بمثناة تحتيه والصواب انها فوقيه

ص ٤١٥ . س ٨ - ٩ - ١١ وص ٤١٨ . س ٢ ضبط « أسلم » بفتحة على اللام والصواب انه بضمة على اللام كما في تاج العروس

ص ٤١٥ . س ٩ وص ٤٢٠ س ٣ ضبط «حوتكه» بفتح الحاء والصواب بضمها

ص ٤١٨ . س ٣ كتب « وخزيمة » بخاء معجمة والصواب بحاء مهملة مفتوحة وبكسر الزاى كما في القاموس

ص ٤٢١ . س ٩ - ١١ - ١٣ - ١٥ كتب « سليم » بميم في آخره وضبط بضم ففتح والصواب انه « سليح » بحاء مهملة في ءاخره وبفتح فكسر كما في القاموس والتاج

ص ٤٢٢ . س ١٨ وص ٤٢٣ . س ١ - ٣ - ٥ ضبط « والبَرْك » بفتح الباء والصواب انه بضمها بوزن قفل

ص ٤٢٤ . س ١٠ كتب « ذو الشكوة » وهو تحريف والصواب ذو الشوكة كما في النسخة التونسية

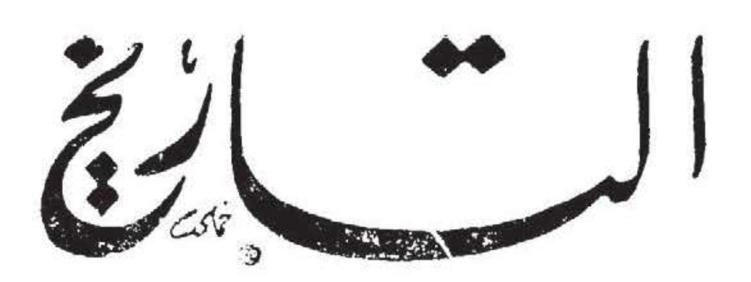
ص ٤٢٥ . س ٧ - ٨ كتب « مُرة » في موضعين والصواب « مر » كما في النسخة التونسية

ص ٤٣١ . س ٧ - ١٢ ضبط « العِتَق » بكسر العين في ثلاثة مواضع والصواب ضبطه بضم العين كما في القاموس ويجوز في التاء السكون والفتح

ص ٤٣٤ . س ٣١ ضبط « بنو شجع » بفتح الشين والصواب بكسر الشين كما في القاموس

ص ٤٤٨ . س ٦ ضبط « احاظة » بكسر الهمزة والصواب بضمها كما في القاموس

(تنبيه) قد تكرر كثير من الاسماء في الملخص الذي لخصه المؤلف لاسماء القبائل والبطون المبدوء بصحيفة ٤٣٣ من الجمهرة فما يكون في بعضها من تحريف او تصحيف انا لم نعاود التصحيح عليه اكتفاء بما سبق فالناظر لا يعسر عليه اصلاحه .



جوامع القطر الليبى (٢)

بقلم الاستاذ عثمان الكعاك

وقد اعتنى بالمرج الاتراك فاسسوا بها برجا وقسموها الى محلتين المحلة الشرقية والمحلة الغربية وجامعها الكبير من بناء الفاطميين في القرن الرابع وقد زاد اتساعا في القرنين الخامس والسادس الا ان عصور الانحطاط قد قضت عن عمران المرج فتناقص بنيانها واستولى الخراب على جامعها الى ان اعادة الاتراك حوالي سنة ١٢٨٨ وهو جامع مركب من ثلاث بلاطات قائم سقفه على اعمدة من الرخام . والى جانبه الزاوية العروسية المؤسسة في القرن العاشر الهجري .

درنة درنة واقعة احسن موقع على انقاض مدينة دهنيس اليونانية ثم الرومانية وقد فتحها عمر بن العاص في طريقه الى طرابلس . وقد شهدت في القرن الاول ارتجاع الوالي زهير بن قيس البلوي الذي كان واليا على القيروان . ثم تغلب عليه البربر فتقهقر الى درنة مع صاحبيه ابي منصور وعبد الله بن ابي بكر واستشهد هناك مع صاحبيه ودفنوا جميعا في مقبرة ابي منصور . فاكتسبت المدينة من جراء ذلك قيمة تاريخية وقدسية واسعة النطاق .

وقد زادت المدينة عمرانا في عصر الفاطميين ولم ينتقص عمرانها في اي عصر بسبب ما بها من المياه المتدفقة والمروج الفيحاء والبساتين الغناء والحقول الثرية وعندما اخرج فيليب الثالث ملك اسبانيا المسلمين من الاندلس سنة ١٠١٧ هجرية

هاجروا الى بـلاد المغرب فاستقروا في جهات كثيرة منها وأم جماعة منهم مدينة درنة فاستوطنوها ونقلوا اليها اساليبهم الصناعية والزراعية الراقيـة فانتعشت المدينة انتعاشا جديدا . وفي نفس الوقت كان واليها محمد باشا من رجال السياسة والتدبير فعامل اهل الاندلس معاملة حسنة رعاية للحمة الاسلام الجامعة ونظرا لكونهم عاملا اقتصاديا قوي المفعول . وكانت سيرته هذه شبيهة بسيرة عثمان داي المرادي بتونس الذي انزل الاندلسيين منزلا حسنـا . وكان محمد باشا مغرما بالعمـران محبـا لنشر الوية الخصب والرفاهية مولعا بتشييد المباني . فكان مقدم الاندلسيين معينا له على ادراك غاياته وانجاز مشاريعه . ولا يزال اهل درنة يذكرون بكل خير ذلك الرجل الصالح . وقد طفح العمران على عهده بفضل استتباب الامن وازدهار اسباب الاقتصاد فقصد درنة ــ علاوة عن اهل الاندلس ــ كثيرون من اهل طرابلس وجماعة من اهل الاناضول ومن الجند الذين استقدموا لتسكين اولاد علي

ويرجع لمحمد باشا الفضل في بناء الجامع الكبير بمدينة درنة . اسسه في حارة البلاد التي هي اقدم حارة عربية في بلدة درنة . وسمي الجامع الكبير او جامع القباب الاثنين والاربعين . ذلك لان هذا الجامع مبني على نمط تركي وسقفه يتالف من ٤٢ ـ قبة على غاية من الجمال وهذا العدد من القباب نادر في الفن الاسلامي الا اننا نعلم ان الفن الموجن ـ اعني الفن البنائي الذي جلبه الاندلسيون الى المغرب كان يميل في بعض مبانيه الى الاكثار من القباب من ذلك ان جامع بلدة بلي الاندلسية الواقعة في طريق نابل على بضعة اميال من قرنبالية يحتوي على ٢٥ قبة .

ومن المعلوم ان الفن المغربي في القرن الحادي عشر سواء بالجزائر او بتونس او بليبيا كان مزيجا بين الفـن البنائي التركي والفن البنائي الاندلسي المعروف بالفن الموجن . مع ان الفن التركي غلاب في مدينة طرابلس في جوامع القرجي والباشا واحمد شايب العين ودرغوث فان هذه الجوامع لا تحوي من الفن الاندلسي الا الكسو من الزليج ليس الا .

اما درنة فان وضعيتها التاريخية - اعني وجود جاليتين بها احداهما اندلسية والاخرى تركية قد حلتا بها في نفس الوقت تقريبا قد جعل فنها المعماري مزيجا من الفن التركي والفن الموجن الاندلسي .

وهذه القباب الاندلسية قائمة على ثلاثين عمودا من جميل المرمر . والمنارة تركية النمط جميلة القامة ويوجد بدرنة جامع ثان يسمى جامع المغار جامع قديم البناء قد جدده رشيد باشا

وهذا الجامع مبني وفق اجمل معمار تركي وهو حري بالمحافظة ليس من حيث انه جامع فقط بل ايضا لانه من المباني الاثرية الدالة على جمال الفن في الاسلام

بنغازي

هي عاصمة البلاد البرقاوية واقعة على البحر بين الشاطيء وسبختين ويوجد في المدينة جامعان لهما اهمية اثرية الاول هو الجامع الكبير بناه في اخر القرن التاسع القاضي عبد السميع وادخل عليه الطاهرباي تحسينات وهذا الجامع في عمومه يجمع بين الفن الموحدي والفن التركي . فان جملة البناء هي ذات صبغة موحدية شبيهة بجامع القصبة بتونس اما الزخرف الخارجي وشكل المأذنة فانهما ينتسبان الى الفن التركي . والسبب في ذلك ظاهر وهو ان القاضي عبد السميع قد بنى الجامع قبل قدوم الاتراك حينما كان الفن الموحدي شائعا فلما اصلحه الطاهر باي كان ما ادخله عليه موافقا للنمط التركي .

واما الجامع الثاني فهو جامع رشيد باشا وبه تربته وفق العادة التركية وقد دفنت معه بعض شعرات الرسول صلى الله عليه وسلم ونمط الجامع هو النمط التركي الخالص شبيه بجامع حمودة باشا وجامع يوسف داي بتونس وجوامع القرجي والباشا وشايب العين وسيدي درغوث بطرابلس .

ادب الامير شكيب ارسلان

دراسة - تحليل - نقد

(٢)

بقلم الاديب الاستاذ احمد مختار الوزير مدرس
فن التعليم وعلم النفس بجامع الزيتونة

وفيما يتأدى بنا الى ذلك نشير الى ان اديبنا قد استشعر ان الامة العربية في حادث اتصالها بالغرب الجديد . كانت تقف بمفترق الطريق . فصارحها لتلوذ برايه . وتاخذ متفادية من شر المخاطر بحكمة عقله . قال « : لم يعهد التاريخ دوراً من الادوار خاص من علاقة الشرقيين بالغربيين . وخلطة الغربيين بالشرقيين . ونسخ كل فريق عن الآخر . واقتباس هذا من ذاك . اخذاً ورداً . وجزراومداً حتى في اعرق الادوار في القدم . واوغل الاطوار في الظلام . وقد عم هذا التحاك جميع احوال الحياة . واركان العمران من التجارة الى السياسة الى الصناعة الى الثقافة فكما تناقلوا فيما بينهم البضائع والمتاجر . فقد تناقلوا الحكم والخواطر . وكما حمل بعضهم الى بعض المهن والصناعات . فقد حملوا الاختراعات والبراعات . وكما تسلط منهم الاشجع على الاجبن . والاشك على الاعزل . فقد تسلط الالحن على الالكن . والاعلم على الاجهل . اذاً الاخذ والعطاء بين الشرق والغرب قديمان منذ طلعت الشمس وولى اليوم والامس . لم ينحصرا في الامور المادية والحوالات المالية والآثار اليدوية . بل شملا الامور المعنوية والمسائل العقلية والشؤون الاجتماعية .

وما ترقت في سلم الاجتماع امة في شرق ولا في غرب الا كان الآخر عيالا عليها جادا في محاكاتها ومتحسرا على مناغاتها . فقد اخذت يونان عن مصر . واخذت بغداد عن يونان . واخذت اوربة عن الاندلس ثم اخذ الشرق في جدته الاخيرة عن اوربة الا انه لم يعرف التاريخ فيما مضى اي قبل ظهور الالآت البخارية والكهربائية دورا اتت فيه العلائق بين الشرق والغرب . وارتفعت فيه الحواجز

على البعد والقرب • وتشارك فيه النـاس في تناول كل مادي ومعنوي • كما في هذه الايام الاخيرة التي القى فيها الغرب بجرانه السياسي على الشرق • ورأى الشرق ان لا قبل له بمناهضة الغرب على وجه كافل لنجاحه الا بان يقاتله بسلاحه • فاضطر الشرق اذاً • ان يأخذ عن الغرب طوعاً اوكرهاً . والضعيف مولع بتقليد القوي كل ما تيسر له اخذه من اسباب المدنيـة كأداة الحرب والمتاع والماعـون • والعلم والحكم والقانون • مجتهداً في اكثر الاحيان ان يضمن هذه العلوم السنته الذليقة • ويطبع بها مدنيته العريقة • ويلقى على غرابتها ديباجته الشرقية • احتفاظا بقوميته واعتصاما باثانيته •

لان كل امة نسيت اصلها ونبذت قديمها وفرحت بجديدها وانكرت رميمها فاحر بها ان تكون ساقطة عن امم • وان تعد خلطا لا تعرف من بين الامم »

هذا هو موضوع الامير شكيب ارسلان • وهو في نفسه عقدة المعاقد فيه كان الامير شاعرا أفصاحه القصائد • حين كانت تستبد بمشاعره الحماسة في ميادين المماتنة فيلوذ بالعواطف يلهب ثوائرهـا • ويستفز دوائرهـا بما يعرضه عليها في تنغيم تالفه • ونسق شعري تـانسه • من مناقب العرب ومفاخرهم وفضائل اعمالهم • من شرف الاعراق • وكرم الاخلاق • وعلو الهمم • والوفاء بالذمم • وصدق الولاء • ومصانعة الاعداء • وتطويل البناء •

وفيه كان الامير كاتبا بيانه المقالات المنطقيات وايات البراهين البينات • ذلك حين كان المقام للفكر والحقيقة يجليها في ادق ملاحظة • واتم تصور • واحكم استقراء • واوثق استنباط • واصدق حكم • واقوم تعليل • يخاطب بذلك كل من يفاوض ويعارض ويقارع ويناهض • في توضيح الراي للعرب لهم ليزدادوا اقتناعا • وعليهم ليتاركوا ما لا خير فيه انقطاعا •

وفيه كان الامير اديبا بارع الترجمة • جيد الاختيـار • صحيح النقل • دقيق العقل • واسع العلم • مستقيم التنظير • تستجيب له قريحته ما دعاها الى التصنيف

والتاليف . والى التصحيح والتوقيف . والى المناظرة . والمحاضرة . ذلك ليتدارك ما يفيد الخزانة العربية كمالا . في اخص ما تكون عليه من نقص .

وفيه كان الامير زعيما سياسيا . داعية من اخطر الدعاة . محرضا من ابلغ المحرضين . واقواهم على الاستهواء . واقدرهم على الاستمالة . يحتال ما وسعته الحيلة في انشاء ادق الاسباب الجامعة ليؤلف منها روابط الاتحاد . يدبر للابرام من فروض الحلول الملائمة للشؤون الدافعة ما يمكن ان يكون مثال الحكمة الحازمة . ويدبر للنقض اوجها مختلفة يجيز في تصميم مناهجها اعتبار كل امر مقبول الا ذلك الامر الذي يتوقع معه ان ينتج من الاحوال ما يلزمه اضطرارا ان يتخلى عن مبدئه او يرتد الى غير قصده

وتمتد به السفارة السياسية الى آفاق البلاد الغربية ويفضي به الراي هنالك ان يتمكن من تعرف سياسات الدول الاوربية . وما هي قائمة عليه من احتمالات التاويل لصور تطبيقها في البلاد الشرقية وما يرتبط بكل صورة . صورة من العواقب العاجلة والآجلة . فلا يلبث ان يكون مشايعا بالقول والعمل لكل ما لا ينتظر وقوع غيره . على ان يكون برا بسفارته على كل حال .

فالامير شكيب ارسلان . شاعر . كاتب . اديب سياسي . له في كل ميدان من هذه الميادين البعيدة المجال فنه الخاص به المميز بطرازه . المطبوع بطابعه المفارق . وانه لكذلك بارز الشخصية في اكثر هذه الميادين . ذلك لان الحماسة الطاغية التي كانت في اعماق نفسه المتيقظة مصدر الجاذبية القوية التي تدفعه دفعا عارما الى هذا الميدان او ذاك . فيبذل فيه عن سخاء نشاطه . ويستخدم فيه عن اقتدار جهوده قد كانت حماسة فذة . نادرة المثيل .

ومن اعتبارنا لهذا الجانب يسهل علينا ان نفهم الى اي حد كانت سجايا الامير شكيب ارسلان وكفاءاته ومواهبه مهياة للعمل في كل تلك الميادين اذ كانت تلك الحماسة تملا قلبه بفيض عتي قوي من الشعور بالقدرة التامة . ومن كان كذلك فليس يعوقه شيء عن بلوغ اشرف احوال التجويد . او يقصر به شيء دون السمو الى مراتب الكمال .

البحتري من الشام الى الشام

قلم العلامة البحر الشيخ محمد الفاضل ابن عاشور المدرس بجامع الزيتونة

ولد ابو عبادة البحتري سنة ٢٠٨ في الشمال الشرقي لبلاد الشام بين مدينة حلب والضفة الغربية لنهر الفرات بقرية من تلك القرى التي كانت تحيط بحلب الشهباء احاطة الانجم الزهر ببدر التمام كما قال الصنوبري

حلب بدر دجى ‍ ‍ ‍ ‍ ‍ ‍ ‍ ‍ انجمها الزهر قراها

وهي قرية منبج التي كانت مركزا اقطاعيا لاحد سادات البيت العباسي عبد الملك بن صالح بن علي ـ فكانت بذلك تمثل حياة نعمة ورفاهية وبذخ تدنو بها من مظاهر الحياة الناعمة المترفة التي كانت تعمر قصور الخلافة ببغداد فكان ذلك كله يلوح بقصور الخلافة في بغداد ويشوق اليها تلويحا وتشويقا اخذا بنفس البحتري وجعلا نظره من اول نشاته معلقا ببغداد وقصورها

ثم تردد بين منبج قريته وحلب قصبة عمله فانبهر بسعة المجتمع وقوة الحركة وضخامة العمران وتباين الطبقات واختلاف مظاهر العيش واصناف الناس ففتق بحلب واستوطنها وتفتحت على عمرانها بصيرته وانبعثت بجلبتها يقظته النفسية فتوجه نحو المظاهر المختلفة في الوان العيش وضروب البشر يتنقل بينها بملاحظته الدقيقة وحسه المرهف

وحمي به وطيس الغليان الاجتماعي الذي كان يئز مدينة حلب ازا بسبب ما يلتهب حولها من نيران توقدها مميزاتها السياسية والاجتماعية وموقعها الجغرافي

فقد كانت روح العصبية العباسية تتلاطم امواجها من شرقي حلب فتصطرع بامواج العصبية الاموية المتكسرة في تراجعها على جبال لبنان وكانت روح الاسلام المتوثبة قد تقمصت عصبية الدولة العباسية بعد ان خلعت عصبية الدولة الاموية وتقدمت في اهابها الجديد تقفز فوق سلسلة جبال الاكام لتاخذ بحجزة السلطة البيزنطينية اني ما انفكت تراجعها عن صهوة السيادة العالمية المطلقة .

كان ذلك في خلافة المعتصم التي تعتبر مبدأ دور قائم بذاته من ادوار التاريخ العباسي هو الدور الذي انحلت فيه العصبية الفارسية التي كانت خلافة العباسيين قائمة عليها واستمرت الدولة قائمة على عصبية مصطنعة في ظل المجد القديم والنصاب المستصحب واعادة المالوفة والمعاني القدسية التي اصطنعها آل العباس لملكهم.

وكانت شخصية المعتصم المحبية المالئة للقلوب اعجابا واجلالا قد زادت في تقوية العماد الادبي الروحاني الذي تستند اليه الاريكة العباسية بما صمد المعتصم في وجه الحركات الانقلابية الالحادية الهدامة وما تم له من الانتصارات المبينة التي طهرت حمى دولة الاسلام في وقائع بابك والافشين واضرابهما فاشرقت بذلك على المعتصم معاني الثقة القومية في ان ملجا الدين ومأمن الدولة انما هي في قبة الخلافة العباسية حتى ارتقت حرمة الخلافة الى معنى رمزي قدسي اسمى من معاني السلطة المادية

ثم كان ترامي همة المعتصم الى تجديد الحروب الانتشارية للاسلام في بلاد آسيا الصغرى قد مكن له فوق ذلك مظهرا وجعل قلعة حلب اشد رقعة في الارض احساسا برفعة ذلك المقام

فقد كانت حلب دهليز المجاز الى آسيا الصغرى والمعسكر العام لقوات الخلافة الغازية وملتقى الجيوش والامداد الزاحفة على جبال اللكام من ممالك العالم الاسلامي تلبي دعوة النخوة العربية الصادرة عن المعتصم وتنادي مجد النبوءة المكنون بين برديه

وجاءت المواقف التي بلغت فيها سيادة المعتصم وبطولته اوج الشهرة سنة ٢٢٣ في فتح عمورية وسقوط انقرة

وكان البحتري في مقتبل شبابه لما اهتز العالم الاسلامي بنشوة الانتصار في عمورية وكانت حلب هي القلب النابض بتلك البهجة لما اندفع الطائي الاكبر ابو تمام يتغنى بالقوافي الخوالد من قصيدته البائية موقعا على اوتار المجد والبطولة والعزة القومية فتجاوبت رناتها في اطراف دنيا الاسلام والتقت رجعات اصدائها تهاليل رخيمة حول القلعة الشهباء فحركت شاعرية البحتري وهزت اريحيته

ولقد كان ما يربط البحتري بابي تمام من اواصر النسب الطائي والوطنية الشامية والنشأة الشعرية يجعله اقرب الى الشعور بهاتيك المعاني واتم اندماجا في ذلك الامتزاج

الغريب الذي بدا بين فيض الاحساس القومي وبين الالهام الطافح به شعر ابي تمام فاستولد من هذا الاندماج مثله الاعلى وبدا ضميره يهتف بانوار البطولة والمجد المتالقة في نجم الشعر الزاهر في افق النسب الطائي : ابي تمام فاندفع يسير في غباره واتخذ نسبه الطائي مطية الى الدنو منه والتحليق في الجو الذي كان مالكا فانحدر من حلب الى حمص يعشوا الى قمر منير طلع عليها مشرقا لالاء مجده بامداد البطولة والشهامة والنصر والشجاعة هو القائد العظيم ابو سعيد محمد بن يوسف الثغري الطائي الذي كان ابو تمام يعيش في دائرته ويتغنى بفتوحه ومواقفه وهناك وجد البحتري نفسه محلقا مع ابي تمام في جو واحد بعد ان ارهقه طول التشوف الى ذلك الافق العالي

وكان فخر الطائية وعزها اعظم ما يتجلى في ذلك الافق بكون ابي سعيد : طائي النسب ، طائي السؤدد لتخرجه في الغزوات والقيادات تحت حميد الطوسي الطائي الذي سار بذكره من قبل شعر ابي تمام ، طائي الفخر والشهرة لان مدائح ابي تمام فيه قد نسجت على لحمة الاعتزاز بالمجد الطائي والعصبية له . وتقدم البحتري على مرأى ومسمع من ابي تمام ينشد القائد العظيم قصيدته القافية التي هي اولى مدائحه في العظماء (١)

أأفاق صب من هوى فافيقا ام خان عهدا ام اطاع شفيقا

وسواء اخذنا بالرواية التي تفيد ان اباتمام قد داخلته عوامل الانقباض والحسد من ظهور هذا الطائي الجديد الذي بدا يلاحقه في ميدان مجده او الروايات الاخرى التي تقول انه قد انشرح له وابتهج به ، فان الرويات متفقة على ان موقف البحتري هذا قد انتهى بان تاكدت الصلة بينه وبين ابي تمام حتى تولاه ابو تمام بل تبناه في النسبة الادبية وان القائد ابا سعيد قد جعله في منزلته منه ثنيان ابي تمام وان شعر البحتري من يومئذ سار في آفاق السيادة والمجد العالي فاصبحت قصائده مروية ذائعة وصار اسمه علما على النبوغ له طنينة في اوساط السيادة المتصلة بمقام الخلافة .

كان ذلك قطعا قبل سنة ٢٣٦ لانها السنة التي توفي فيها محمد بن يوسف كما افاده ابن الاثير وشواهد شعر البحتري في مدائحه لمحمد بن يوسف دالة على ان هذا الاتصال كان في خلافة المعتصم اي قبل سنة ٢٢٧

(١) ص ٢١٢ ج ٢ ديوان البحتري ط الجوائب سنة ١٣٠٠

فهذه قصيدته الرائية (١) التي يتوجه بها الى محمد بن يوسف عند وفاة المعتصم معزيا فيه ومهنئا بولاية ابنه هارون الواثق ومنوها بما كان لمحمد بن يوسف من الاثر في تولية الواثق الخلافة

وفيها نلاحظ ان البحتري لم يزل يولي نظره شطر مقام الخلافة ويمد اسبابه للتطلع الى الخطوة في ذلك المقام بما يتوقع من ذيوع شعره وروايته عند سدة الخلافة يظهر ذلك في هذا الاسلوب الذي قلما رايناه لغيره من الشعراء اسلوب التذرع بمدح عظيم الى مدح من هو اعظم منه واهتبال فرصة التعزية في المفقود للتهجم على امتداح الموجود فهو منذ ابتداء خلافة الواثق سنة ٢٢٧ قد بدا يترامى على مدح الخليفة ويمهد السبل لادراكه مباشرة بل ذلك وهو مقيم بالشام وهمته مترامية الى الاتصال بالعراق

وهناك شاهد اخر من شعر البحتري على هذا الفن من المحاولة والترامي هو قصيدته الدالية الشهيرة في مدح محمد بن عبد الملك الزيات الذي كان ركن الخلافة وعماد الدولة في عهد الواثق

بعض هذا العتاب والتفنيد   ليس ذم الوفاء بالمحمود (٢)

فابياتها ناطقة بانه وجه بها من الشام الى ابن الزيات ببغداد مراسلة ولم يمتدحه بها شهده عيانا

وانه اجهد نفسه فيها جريا وراء المعنى الذي سعى اليه في تعزية محمد بن يوسف بالمعتصم فقد اصطنع الاسباب ايضا لاثارة ذكر الخليفة الواثق وتمجيده وتمجيد ابن الزيات باخلاصه له وحسن غنائه في خدمته كانه يستدرج ابن الزيات بذلك لان يبلغها الى الخليفة

وانه راغب في ربط صلة الصداقة الوثيقة فيما بينه وبين ابن الزيات من طريق التكافؤ الادبي بما احتفل له في تلك القصيدة من اظهار اعجابه بمقام ابن الزيات من الادب والكتابة وما تفنن فيه من تقريظه بتلك الابيات العجيبة التي كشفت عن نواحي السمو الفني الذي يمتاز به نثر ابن الزيات ويتلاقى فيه مع مقاييس الجودة التي طبع عليها شعر البحتري

(البقية على صحيفة ١٨٥)

(١) ص ١٦٩ ج ١ ديوان البحتري ط الجوانب ١٣ (٢) ص ١٩٣ ج ٢ الديوان

ابن تيمية *

(٢)

وكما يقول في كلامه على النصيرية : « ومن المعلوم ان السواحل الشامية انما استولت عليها النصارى من جهتهم وهم دائما مع كل عدو المسلمين . فهم مع النصارى على المسلمين . ومن اعظم المصائب عندهم فتح المسلمين للساحل وانتهاء النصارى . بل من اعظم اعيادهم اذا استولي والعياذ بالله على ثغور المسلمين . ثم ان التتار انما دخلوا ديار الاسلام وقتلوا خليفة بغداد وغيره من ملوك المسلمين بمعاونتهم ومؤازتهم وهم احرص الناس على تسليم الحصون الى عدو المسلمين . وعلى افساد الجند على وليّ الامر واخراجهم عن طاعته . »

ومن اجل ذلك استمات الشيخ في مهاجمتهم . ومعركة كسروان سنة ٧٠٤ هـ التي هزمهم فيها مشهورة

وكثير من الناس يعللون هذه الظاهرة وغيرها من ظواهر دفاعه بما يضع من قيم المجاهدين فيقولون مثلا : ان ابن تيمية يحب الدين . ويبغض هذه الطوائف . هذا قدر لا ينازع فيه احد . اما سر مشاركته العملية في المقاومة انما هو حبه للظهور . وتعشقه للسيادة . معتمدين في هذا القول بما شهد به زميله الحافظ الذهبي فانه قال بعد كلام : « فما وجدت ما أخره بين اهل مصر والشام حتى مقتته نفوسهم وازدروا به وكذّبوه وكفروه الا الكبر والعجب وفرط الغرام في رئاسة المشيخة والازدراء بالكبار فانظر كيف وبال الدعاوي ومحبة الظهور نسأل الله المسامحة »

وهذا في الحقيقة لا يتم ضرورة ان في حياة الشيخ ما ينقضه فقد عرف بما شهد به الشاعر الصوفي ابن الوردي في قصيدة رثاه بها على الرغم من ان الصوفية كانت من بين ما ناهضه ابن تيمية مناهضة عنيفة شهد بانه زاهد في المناصب التي كان يتكالب عليها الناس في ذلك الزمن في قوله :

* تابع للمقال المنشور في الجزء الثاني صفحة ٩٢

ألم يك فيكم رجل رشيد يرى سجن الامام فيستشاط
إمام لا ولاية كان يرجو ولا وقف عليه ولا رباط
ولا جاراكم في كسب مال ولم يعهد له بكم اختلاط
ففيم سجنتمـوه وغظتموه اما لجزا أذيته اشتراط

مع انه كان الى هذا شديد المواقف حتى مع الملوك الذين يطمع منهم بالوظائف والسيادة . وانما كل ما في الامر ان الرجل متى عرف مهمته وشعر بمسؤوليته لا يستطيع بحال ان يكتم حقا او نصحا . ثم يجاري مناسبة او إشخاصا . وقيام في مثل هذه المشادة العنيفة ليس اللائق به ان يملل هذا التعليل اذا كان فينا فضل من انصاف او حسن نية على كل حال

ثم على فرض تسليمنا لهذا القول افلم يكن لابن تيمية الحق في ان يستبد بمشيخة الاسلام وهو الرجل الكفء المشهود له بالنبوغ والمقدرة حتى عند الاعداء في قرارات نفوسهم . في عصر قل فيه الاكفاء واشتبهت فيه وظائف الاسلام الكبرى بوظائف الكتبة في دواوين الانشاء او دكاكين الوراقة ؟

نهايته في هذا الطور

على ان ابن تيمية لم يكن ليخرج من كل هـذه الحوادث سالماً موفوراً خصوصاً اذا علمنا ان دعاة هذه الطوائف لهم مكانتهم عند الملوك والامراء

فقد اصابه منهم مكر ومحنة . من مسألته الحموية التي كتبها وهو سجين سنة ٦٩٨ هـ . وهي جواب على سؤال موجه اليه من حماة . في توضيح عقائد السلف في صفات الله . وسعوا به لدى الملوك ليسجنوه . فكان ان عقد له سنة ٧٠٥ مناظرة بمحضر نائب السلطنة الافرم كمبرر لسجنه فيما اذا اخفق ولكنه ظهر على مخالفيه وسد عليهم الطريق قبل الوصول . فتابعوه بالسعاية الى ان تمكنوا من سجنه في الجب بقلعة الجبل سنة ونصفا وكان يصحبه في السجن اخواه زين الدين وشرف الدين

الطور الثاني من سنة ٧٠٥ ﻫ . الى سنة ٧١٢ ﻫ .

كل هذا الذي جرى عليه وهو في الشام بين صحاب واقرباء . فما الذي يكون من تقي الدين بعد هذه المعارضة وهو الدؤوب على احياء عقيدة ؟

ان عملا من اعمال المصلحين لم يكن له أثره في الملا الذي يحاول اصلاحه عمل لا يجدي الاستمرار عليه بالروح التي ابتدىء بها كما لا يحسن الانصراف عنه تماما . وانما يجب التبديل من اساليبه نوعا ما . او محاولته في بلد غير البلد الاول . ونحن راينا ما جرته هجرة النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة للاسلام من عزة وظهور .

ومن اجل ذلك ارتحل الشيخ تقي الدين الى القاهرة عله يجد فيها الفاهمين للدين الصحيح والمتمسكين به ليتساعد بهم على تنفيذ مهمتة التي هي : تبديد سحب الضلالات التي تاتيها تلك الطوائف المستفحل امرها . وقطع خرافات العقائد الواهية من اصولها . والسهر على انجاب شباب صالح مفيد .

فقضى فيها كل مدته ينشر العلوم وينير الاذهان ولكن رقاع العالم الاسلامي في ذلك الطور تكاد تكون مطبوعة بطابع واحد بحيث ان معرفتك لعادات وعقائد بلد تغنيك عن معرفة عادات وعقائد سائر البلدان . ولهذا لم تكن اقامة الشيخ بالقاهرة باروح من اقامته في دمشق . فقد عورض واصابه من التنكيل الشيء الكثير واودع الى السجون . ولعل اغلب مدته بمصر قضاها بين الاسوار والسدود

الطور الثالث والاخير من سنة ٧١٢ ﻫ الى سنة ٧٢٨ ﻫ .

وهنا وقد دب الى عظمه الوهن وعرف الانفسح في مكثه لم يبق له الا ان ينتظر فرصة العودة الى الشام .

وفي عام ٧١٢ كان الجيش المنصور متوجها من مصر الى العراق فصحبه الشيخ . وطاف معه بلادا واسعة زار خلالها بيت المقدس ثم رجع بعد الى دمشق ولازمها للافتاء والتصنيف ونشر العلوم وقد صفا له فيها العيش زمنا الى ان افتى في الحلف بالطلاق . واصل هذه الفتوى . ما كان يعتقده ابن تيميه

من ان المماليك يتخذون الطلاق طريقا الى الزنا : وبيان ذلك ان الرجل متى حلف بطلاق زوجته فقال مثلا الحرام يلزمني لا افعل كذا وجب ان تطلق عليه طلاقا بائنا حتى لا يملك ارجاعها اذا اراد فتضطر المراة حينئذ وقد اصبحت مزهودا في التزوج بها ان تاكل من ثدييها وتلك بغية الفسقة من ذوى الاكياس .

وبناء على ذلك التفت الشيخ الى هذه المحنة الاجتماعية الكبرى واصدر فتواه بالغاء الحلف بالطلاق رجاء ان يغلق بابا عن الفجور يكون شرا على الاسلام لو بقي مفتوحا ولا محاولة في اغلاقه

فقام في وجهه كثير من السوقة والمضللين واوسعوه اذاية فاشار عليه بعض القضاة ان يمسك عن الافتاء بها اشفاقا على كرامته . فانتهى عنها مدة وقد ورد كتاب من السلطان يقضي بمنع الفتوى بها . ولكنه لم يكن ايرتاح ضميره على هذا الصمت الذي يعتقد انه عائد على البلاد بالشر فعاد الى الافتاء بها قائلا كلمته المأثورة : « لا يسعني كتمان العلم » .

ولم يمض وقت طويل حتى زج به في قلعة دمشق خمسة اشهر ونهاية عشر يوما . ولما اتمها خرج كأنه لم يصبه شيء الى التعليم ونفع الناس حتى عثر اعداؤه على جواب يتعلق بمسالة شد الرحال الى قبور الانبياء التي كان قد اجاب بها منذ نحو من عشرين سنة خلت . فسعوا به الى الحكام مهولين الامر حتى ورد كتاب من السلطان في شعبان سنة ٧٢٦ يامر بحبسه في القلعة

سجنه الاخير

فالقى به في القلعة ومعه اخوه يخدمه فانقطع الى التلاوة والعبادة والتأليف وجمع محاضر للرد على مخالفيه . وقد كتب في المسالة التى سجن من اجلها عدة مجلدات قدر لها ان تشق الجدران الى الملا فكان لها خطر دفع اركان الدولة الى منعه من الكتابة واخلاء القلعة من جميع مرافقها . وكان الشيخ لا يصبر عن الكتابة يوما فكتب على جدار بالفحم ما يؤدي : « ان ابعاد وسائل الكتابة عنه لمن اعظم النقم . »

حسن المناوي

الفتاوى والاحكام

هل اولاد الشريفة يكونون اشرافا

نص السؤال : هل اولاد الشريفة يكونون اشرافا تبعا لامهم ويستحقون ما تستحقه الاشراف من الاوقاف عليهم ام لا ؟

أجاب عنه الولي الشيخ محمد بيرم الثاني شيخ الاسلام في عصره رضي الله عنه بما نصه :

في بحث اشارة النص ان للام في قوله تعالى : « وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف » للاختصاص ولا يصير الولد مخصوصا من حيث الملك بالاجماع فدل على اختصاص الاب بالنسبة اليه حتى لو كان الاب قرشيا والام اعجمية يعد الولد قرشيا هكذا قرره عبد اللطيف الرومي في شرح المنار وغيره ومقتضاه ان الاولاد المذكورين ليسوا بشرفاء فلا يدخلون في الاوقاف على الاشراف.

لكن رايت بخط موثوق به في بعض حواشي نسخ مجمع الفتاوي ما صورته :

سمعت استاذي شمس الايمة الكردري قال وهو سيد واستدل بان الله تعالى جعل عيسى عليه الصلاة والسلام من اولاد اسحاق عليه الصلاة والسلام وبالاول أفتى شيخنا الشيخ زين ابن نجيم الحنفي المصري وهو مذكور في فتاواه كتبه محمد بن عبد الله بن احمد الحنفي من فتاوي الغزي لصاحب تنوير الابصار في آخر كتاب الكراهية .

وفي جواب آخر منقول من الكتاب المذكور عن السؤال المسطور في بعد أن اجاب بانه ليس بشريف قال :

واما وضع العلامة الخضراء براسه فلا مانع من ذلك لان له نسب شريف بالنسبة الى غيره اهـ.

« تتمة مقال البحتري »

واقد ظل هذا الاتصال المباشر بمقام الخلافة وعلاقة المودة مع مقام الوزارة حلما للبحتري لم يتم له تحقيقه في خلافة الواثق ووزارة ابن عبد الملك الزيات

فقد ذكر ابن خلكان (١) ان البحتري لم يدخل العراق ويبتدئ مدح الخلفاء الا في خلافة المتوكل وكانت من سنة ٢٣٢ الى سنة ٢٤٧

واذا اردنا ان نحقق بالضبط الزمن الذي دخل فيه البحتري العراق واننا واجدون من شواهد شعره ما يعين على ذلك . فمن جهة نجد :

١) كثرة مدائحه في المتوكل دالة على طول مدة اتصاله به وذلك يقتضي ان هذا الاتصال كان في السنين الاولى من خلافته

٢) تهنئته اياه ببناء قصور المتوكلية الجعفري والصبيح (٢) وذلك يقتضي ان اتصاله بالمتوكل قبل سنة ٢٤٠ التي هي سنة بناء المتوكلية .

٣) تهنئة المتوكل بسفرته الى دمشق (٣) وذلك يقتضي ان اتصاله به كان من قبل سنة ٢٤٣ وهي سنة تلك الرحلة .

٤) تهنئته ببلوغ المعتز (٤) ولده وهي تقتضي انه كان في دائرة المتوكل قبل سنة ٢٤٠ وهي التى احتفل فيها بادراك المعتز

٥) تهنئته بعقد البيعة لاولاده الثلاثة (٥) يقتضي انه كان متصلا به سنة ٢٣٥ وهي السنة التي كان عقد تلك البيعة في ءاخرها

ومن جهة اخرى نجد :

بعض مدائحه في الفتح بن خاقان وزير المتوكل والقائم بامر دولته تدل على انها كانت عن مراسلة لا على انها عن مشاهدة وذلك كما كانت مدحته لابن عبد الملك الزيات ففي ءاخر قصيدته في مدح الفتح التي مطلعها (٦) :

خيال ملم او حبيب مسلم وبرق تجلى او حريق مضرم

يقول مسترفدا

اليك القوافي نازعات قواصدا يسير ضاحي وشيها وينمنم
ضوامن للحاجات اما شوافعا مشفعة أو حاكمات تحكم
وكائن غدت لي وهي شعر مسير وراحت علي وهي مال مقسم

وفي الاخرى التي مطلعها (٧)

(١) وفيات الاعيان ص ٢٣١ ج ٢ ط بولاق ١٢٩٩ (٢) ص ٣٨ ج ١ ديوان جوائب (٣) ص ٣٧ ج ٢ ديوان جوائب (٤) ص ٢٧ ج ١ ديوان جوائب (٥) ص٧ ج ١ ديوان جوائب (٦) ص ٦٠ ج ١ ديوان جوائب(٧) ص ٥٦ ج ١ ديوان جوائب

سقيت الغوادي من طلول واربع وحييت من دار لاسماء بلقع

يقول شاكرا نعمته عليه معلنا بقرب ارتحاله اليه

سيحمل همي عن قريب وهمتي قرى كل ذيال جلال جلنفع
بناهبن اجواز الفيافي بارجل عجال الى طي الفيافي واذرع
متى تبلغ الفتح ابن خاقان لا تنخ بضنك ولا تفزع الى غير مفزع
. . . .
لك الخيراني لاحق بك فاتئد علي واني قائل لك فاسمع
مكاني من نعماك غير مؤخر وحظي من جدواك غير مضيع

وفي قصيدته التي يذكر فيها وصوله ودخوله على الفتح ابن خاقان يذكر سابق انعامه عليه قبل اللقاء ثم ادنائه منزلته منه بعد فيقول (٢)

بداني بمعروف هو الغيث في الثرى توالى نداه والشنارت خمائله
امنت به الدهر الذي كنت اتقي ونلت به القدر الذي كنت آمله
ولما حضرنا سدة الاذن احرت رجال عن الباب الذي انا داخله
فافضيت من قرب الى ذي مهابة اقابل بدر الافق حين اقابله
. . . .
فسلمت واعتاقت جناني رهبة تنازعني القول الذي انا قائله

فهذه شواهد على انه اتصل بالفتح ابن خاقان مراسلا ثم قصده عيانا والحال ان الفتح لم تعظم منزلته ويشتهر ذكره ويقصد فضله الا في خلافة المتوكل .

فنحن حينئذ بين ادلة تثبت ان دخوله بغداد في اول خلافة المتوكل وادلة اخرى تثبت وجود فترة تراخ بين ولاية المتوكل ودخول البحتري بغداد هي الفترة التي كان البحتري فيها خاطب لمودة الفتح بن خاقان حتى ظفر بها فدخل بغداد في ظلها .

ومن الجمع بين هذين الدليلين نستطيع ان نقدر ان انقطاع البحتري عن الشام الى العراق انما كان بعد سنة ٢٣٢ وقبل سنة ٢٣٦ فاذا قدرنا ان فترة التراخي قد كانت فيها قصائد البحتري للفتح بن خاقان عديدة مع التزامنا انه في آخر سنة ٢٣٥ كان في بغداد يمدح المتوكل تعين ان نقدر لتلك الفترة سنتين على الاقل فنفرض انه دخل بغداد في سنة ٢٣٤ او اوائل سنة ٢٣٥

وقد تقلبت به في العراق اطوار كانت تابعة لتقلبات الوسط السياسي الذي حل فيه فعرف اوج الاقبال والسعادة في عهد المتوكل بما استوثق من صلاته به وبوزيره الفتح بن خاقان حتى اصبح لهما صديقا ونديما وسلا بغبطة العيش التي وجدها في حماها وطنه الشامي وعهود انسه الغرامي كما قال (٢)

(١) ص ٣٢ ج ١ ديوان جوائب (٢) ص ٤٣ ج ١ ديوان جوائب

جفوت الشام مرتبعي وانسي وعلوة خلتي وهوى فـؤادي
ومثل نـداك اذهلني حبيبي واكسبني سلوا عن بلادي

ثم كانت الواقعة الشنيعة في اغتيال المتوكل والفتح معا في مجلس واحد كان البحتري ثالثهما فيه ففتح عليه بذلك باب من المحنة عظيم وتعرض الى نقمة الخليفة الجديد المنتصر ونزت به عواطفه نزوة جامحة تهجم بها على هجاء الخليفة واظهـار بغضه اياه (١) ثم استشعر شر تلك النزوة واشفق منها على نفسه فتوارى تحت اجنحة رجال من الكتاب والامراء والوزراء كان مظهرا الغنى عنهم في عهد حظوته لدى المتوكل حتى استدرج نفسـه الى مدح المنتصر واستجدائه فاصبح تابعا حقيرا وشاعرا ضئيـلا يترامى على ابواب الخلافة بعد ان كان من صاحبها بمقام الخدن والنديم

ووجه ءامال في تجديد مكانته الى ولي العهد محمد المعتز بالله وقد كان من المنتسبين اليه العاملين على خدمته في عهد والده المتوكل فاذا المعتز نفسه يدخل ظلمة المحن اذ عزله المنتصر عن ولاية العهد وحبسه واسند ولاية العهد الى المستعين احمد بن المعتصم .

فزاد ذلك في مرارة الخيبة وقسوة الحرمان والأهمال الذين لقيهما البحتري واندفع بهذا الشعور البائس الى الاستهتار في معاقرة الخمر .

وولي المستعين الخلافة فمدحه كذلك مستجديا متراميا غير منظور اليه والشعور بالخيبة والوحشة يتقدم في نفسه يوما فيوما حتى نسخ البهجة التي كانت تملأ نفسه فتسليها عن الشام وعن غرامه فيها بعلوة فساد في شعره ذكر الاحتياج والتصريح بالجري وراء الرزق .

فاضطربت بغداد بثورة المعتز على المستعين وتقسمتها الشيعتان فدفع به حنينه الى عهد المتوكل الى الانضمام الى شيعة ابنه المعتز فاعلن بمدائحه وهجا المستعين وقد سئم هذه الحياة البغدادية التي ملئت فتنا واكدارا

فبدا مع ما بلغ بولاية المعتز من امل ان يتغنى بذكر الشام ويراجع في نفسه عهود محبته لعلوة وحنينه اليها بعد ان ظهر ذلك في شعره اكثر مدة مقامه في بغداد

ففي تشبيب قصيدته التي يذكر فيها استتباب الامر للمعتز يقول (٢) :

خيـال يعتريني في المنـام لسكرى اللحظ فاتنة القوام
لعلوة انها شجن لنفسي وبلبال لقلبي المستهام
. . . .
اا تخذ العراق هوى ودارا ومن اهواه في ارض الشام
فلولا غرة الملك المـرجى لآثرت المسير عـلى المقـام

ثم يخرج من هذا التردد الى العزم على العودة الى الشام ويصدع بذلك في مدحه

(١) قصيدة في المتوكل ص ٢٧ ج ١ ديوان جوائب (٢) ص ١٤٥ ج ٢ ديوان جوائب

المعتز فيه فيستاذنه في الرحيل (١)

هل اطلعن على الشام مبجلا في عز دولتك الجديد المونق

وبذلك انهى البحتري طور حياته البغدادية ورجع الى الشام اول خلافة المعتز اي في سنة ٢٥٢ فكان انقطاعه عن الشام سبعة عشر عاما

وقد تأثرت نفسيته وشاعريته في طوره الشامي الجديد بما اوقرته اطوار حياته البغدادية من احمال السنن والكوارث وعبر التقلب بين الجدة والفقر وظلمة النفس بتوالي الرزايا وانعكاس الآمال وحزازات الحرمان وتضعضع القوى النفسية بما طغى عليه من مزينات الاهواء وموبقات الانحلال الخلقي وانحطاط القوى البدنية بعوامل الاكداء والانفعال وغلبة السن وعواقب الاستهتار في الخمر وطالت حياته بالشام اكثر من ثلاثين سنة بعد عودته من العراق اذا كانت وفاته سنة ٢٨٥

فاصبحت نظرته الى الحياة نظرة المعتبر الساخر المتعالي المتدبر بما في ظواهر الحياة المختلفة من الزيف، وما في باطنها المتمد من الحق الخالد فارسل الحكم في مدائحه وطارح احبابه الشكوى في مراسلاته وسعى بشعره في تسيير حاجاته المادية متسخطا الفقر متبرما بالهرم وقد جعل نجوى فؤاده ومثار اشجانه ذكريات الايام التي ازدهرت بها حياته في الاتصال بالفتح والمتوكل وكلما فارق خمواه وحاجته الى احقر اولي الامر بمقام رفعته وغبطته وغناه عن الناس حن الى ايامه الخوالي فاشتاقها شاكيا واستعرضها باكيا وما انعاق بالذي كان ثالث الرجلين الذين خدمتهما الملوك وتقرب اليهما العظماء باماني الخدمة حين يتقدم الى عالم منبج يتملقه في اسقاط مال التقسيط او يستعطفه في اسعاف او ارفاق ان يرضخ الى الواقع المفروض ويعتبر في اختلافه حاليه فيقول

قنعت على كره وطاطات ناظري	الى رتق مطروق من العيش حشرج
وجلجلت في قولي وكنت متى اقل	بسمعة في مجمع لا الجلج
يظن العدا اني فنيت وانما	هي السنن في برد من الشيب منهج
نظوت الصبا نضو الرداء وساءني	مضي انس متى يمض لا يجي
... مضى جعفر والفتح بين مرمل	وبين صبيغ في الدماء مضرج
الطلب انصارا على الدهر بعد ما	ثوى منهما في الترب اوسي وخزرجي
اولئك ساداتي الذين برايهم	حلبت افاويق الربيع الثجج
مضوا امما قصدا وخلفت بعدهم	اخاطب بالتامير والي منبج

هذا البحث هو خلاصة محاضرة من المحاضرات العشرين التي القاها محمد الفاضل في العام الدراسي الماضي في حياة البحتري وشعره على طلبة السنة النهائية من شعبة الاداب بالجامعة الزيتونية، وهي ملخصة بقلم تلميذه ومدونه الشيخ محمد عمر آل عساكر الجزائري

(١) ص ١٥١ ج ٢ ديوان جوائب

المجلة الزيتونية

رئيس التحرير :

محمد المختار بن محمود

المفتي الحنفي

المدير

محمد الشاذلي ابن القاضي

المدرس من الطبقة الاولى بجامع الزيتونة

الادارة نهج ابن محمود رقم ٦ بتونس تليفون ٤٦ ــ ٢٩

قيمة الاشتراك عن سنة الفا فرنك يخصم الربع لتلامذة المعاهد العلمية

ثمن الجزء : مائتا فرنك



تونس في

١٣١٢ - ١٩٥٣